ديانة الإبراهيمية المزعومة وتزييف الوعي الإسلامي المعاصر

# التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٠٧ السنة الواحدة والخمسون • رجب ١٤٤٣ هـ
الثمن ٥ جنيهات

بر الوالدين
حسنات وبركات

## شهر رجب
بين السنة والبدعة

- أمة الإسلام بين تعتيم الرموز وتسميم الكنوز
- الأمر بلزوم الجماعة
- مصدر السعادة الحقيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد

د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مطابع الأهرام التجارية ACP

## السلام عليكم

## محمد في نظر مخالفيه

يقول توماس كارليل (الكاتب الإنجليزي المعروف) مدافعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم ضد من يشنون عليه حملات الكذب والتضليل: «هل رأيتم قط أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا عجبًا، إنه لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب! فهو إذن لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه ببيت، إنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، واني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته، كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقًا، ومحنة أن ينخدع الناس شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل». اهـ.

وإذا كان هذا كلام الكاتب الإنجليزي (توماس) في الدفاع عن شريعة الإسلام ضد من يهاجمونها؛ فها هو الكاتب النصراني (نصري سلهب) يُمَجِّد في تراث الإسلام الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول: «تراثك يا ابن عبد الله ينبغي أن يُحيا لا في النفوس والقلوب فحسب، بل في واقع الحياة في ما يعاني البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات، تراثك مدرسة يُلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس، كل سؤال له عندك جواب، كل مشكلة مهما استعصت وتعقدت نجد لها في آثارك حلاً».

**التحرير**

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلدا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

# فهرس العدد

| | | |
|---|---|---|
| الحمد معناه ومكانته في القرآن الكريم | د. عبد الله شاكر | 2 |
| باب التفسير | د. عبد العظيم بدوي | 5 |
| باب السنة | د. مرزوق محمد مرزوق | 8 |
| أمة الإسلام بين تعتيم الرموز وتسميم الكنوز | د. عماد محمد علي عيسى | 12 |
| فقه المرأة المسلمة | د. عزة محمد رشاد | 15 |
| منزلة الصلاة في الإسلام | الشيخ صلاح نجيب الدق | 17 |
| كلمات في المنهج | اللجنة العلمية | 20 |
| غزوة بدر | د. سيد عبد العال | 21 |
| الأمر بلزوم الجماعة | الشيخ معاوية محمد هيكل | 24 |
| حكم زواج التحليل | د. محمد عبد العزيز | 28 |
| ديانة الإبراهيمية المزعومة | د. عبد الوارث عثمان | 32 |
| واحة التوحيد | علاء خضر | 36 |
| شهر رجب بين السنة والبدعة | د. متولي البراجيلي | 38 |
| باب الفقه: صلاة المسافر | د. حمدي طه | 41 |
| شهر رجب أحداث وتأريخ | الشيخ أحمد عز الدين | 44 |
| التحذير من الدواعش | د. عاطف التاجوري | 46 |
| دراسات قرآنية | الشيخ مصطفى البصراتي | 48 |
| مصدر السعادة الحقيقية | د. جمال عبد الرحمن | 50 |
| تحذير الداعية من القصص الواهية | الشيخ علي حشيش | 53 |
| نماذج تحتذى من أعلام وأئمة السلف | د. محمد عبد العليم الدسوقي | 57 |
| وفي السماء رزقكم وما توعدون | الشيخ عبده أحمد الأقرع | 61 |
| بر الوالدين حسنات وبركات | د. سعود الشريم | 64 |
| مقالات في معاني القراءات | د. أسامة صابر | 68 |
| السعادة المنشودة | د. ياسر لمعي | 70 |

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

**جمعية أنصار السنة المحمدية**

رئيس التحرير:

**مصطفى خليل أبو المعاطي**

رئيس التحرير التنفيذي:

**حسين عطا القراط**

مدير التحرير

**إبراهيم رفعت أبو موته**

الإخراج الصحفي:

**أحمد رجب محمد**
**محمد محمود فتحي**

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

**٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن**

**منفذ البيع الوحيد**
**بمقر مجلة التوحيد**
**الدور السابع**

# الحمد معناه ومكانته في القرآن الكريم

الرئيس العام د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فالحمد من الكلمات المباركة العظيمة المذكورة في الباقيات الصالحات، والموصوفة بأنها من أحب الكلام إلى الله، وسأتناوله هنا بالحديث -إن شاء الله-، وأبدأ بتعريفه وبيان فضائله، فأقول وبالله التوفيق:

الحمد: نقيض الذم، يقال: حمدته على فعله، ومنه المحمدة خلاف المذمة. (انظر: لسان العرب ٣/١٥٥).

وقال ابن فارس: الحمد: مصدر قوله: حمد يحمد، وهو يدل على خلاف الذم، ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة، ولهذا الذي ذكرناه سمِّي نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم. (انظر: معجم مقاييس اللغة ٢/١٠٠).

والألف واللام في الحمد، لاستغراق جميع المحامد. قال الشنقيطي رحمه الله: «وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به». (أضواء البيان ج١/٣٩).

وقد دل القرآن الكريم على فضل الحمد ومكانته العظيمة، وقد افتتح سبحانه وتعالى أعظم كتبه بالحمد، فقال: «الحمد لله رب العالمين».

قال ابن جرير رحمه الله: «الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبَد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه». (تفسير ابن جرير ١/٤٦).

ولذلك أقول: إن لربنا الحمد الكامل من جميع الوجوه؛ لأنه المربِّي لجميع العالمين والمدبِّر لجميع شئونهم، مع كمال غناه عنهم وافتقارهم إليه وحده، كما افتتح الله تعالى خمس سور في كتابه بالحمد، **أولها:** ما جاء في سورة الفاتحة، وقد أشرت إليها آنفًا،

**وثانيها:** ما جاء في سورة الأنعام في قوله: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» (الأنعام:١)، وقد وصف الله تعالى نفسه في مقام هذا الحمد بصفتين من صفاته التي هي من موجبات الحمد، وهما خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور.

**وثالثها،** ما جاء في مفتتح سورة الكهف في قوله تعالى: «ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ» (الكهف:١)؛ وقد حمد الله تبارك وتعالى نفسه وأثنى عليها لإنزاله أعظم كتبه على أشرف خلقه صلى الله عليه وسلم، وقد جعله مستقيمًا لا اعوجاج فيه، وبه يخرجون من الظلمات إلى النور، ويسلكون صراط الله المستقيم، وهو أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده.

قال القاسمي رحمه الله: «وفي إيثار إنزال التنزيل من بين سائر نعوته العليّة، تنبيه على أنه أعظم نعمائه. فإنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد. ولا شيء في معناه يماثله. وفي ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية، تنبيه على عظمة المُنزَّل والمُنزَل عليه. كما تدل عليه الإضافة الاختصاصية، كما تقدم في سورة الإسراء. واشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبدًا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام. وتعريف الكتاب للعهد. أي: الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال، المعروف بذلك من بين الكتب، الحقيق باختصاص اسم الكتاب به. وهو عبارة عن جميع القرآن». (تفسير القاسمي ٤٠٢١/١١).

**ورابعها:** في مفتتح سورة سبأ قوله تعالى: «ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ» (سبأ:١). فقد حمد الله نفسه في هذه الآية؛ لأنه المالك لكل ما في السماوات وما في الأرض، المنعم المتفضل على عباده في الدنيا والآخرة.

قال السعدي رحمه الله: «وحمد نفسه هنا على أنَّ له ما في السماوات وما في الأرض ملكًا عبيدًا يتصرف فيهم بحمده وله الحمد في الآخرة؛ لأن في الآخرة يظهر من حمده والثناء عليه ما لا يكون في الدنيا...، فإنهم في الجنة يرون من توالي نعم الله، وادرار خيره وكثرة بركاته وسعة عطاياه التي لا يبقى في قلوب أهل الجنة أمنية ولا إرادة إلا وقد أعطى منها كل واحد منهم فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيهم ولم يخطر بقلوبهم». (تفسير السعدي ٢٥٦/٦).

**وخامسها،** في مفتتح سورة فاطر في قوله تعالى: «ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ» (فاطر:١). وقد ذكر الله في هذه الآية خلقه للسماوات والأرض، وجَعْله ملائكته رسلاً بينه وبين خلقه، ثم أشار إلى عظمتهم وتفاوتهم في الخلق. قال ابن كثير رحمه الله: «جاعل الملائكة رسلاً» أي: بينه وبين أنبيائه، «أولي أجنحة» أي: يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعًا، منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب». (تفسير ابن كثير ٧٣٨/٣).

كما ورد الحمد كثيرًا في ثنايا كلام الله تعالى، وذلك حين يذكر ربنا شيئًا من عظمته وقوته، وفضله وإحسانه إلى خلقه، ثم يعقِّب على ذلك بحمد نفسه والثناء عليها، وذلك كقوله: «فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» (الأنعام: ٤٥)، ويُلاحظ من الآية: أن الله تبارك وتعالى إلى إهلاكه للظالمين لتكذيبهم لرسله واصرارهم على الشرك والكفر، ثم عقب على ذلك بالثناء على نفسه، وهو لذلك أهل.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «فهذه الجملة بيانٌ للحق الواقع من كون الحمد والثناء على ذلك مستحقًا لله تعالى وحده، وإرشادٌ لعباده المؤمنين، يذكرهم بما يجب عليهم من حمده على نصر المرسلين المصلحين، وقطع دابر الظالمين المفسدين، وحمده في عاقبة كل أمر، وخاتمة كل عمل، كما قال في عباده المتقين: «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين»». (تفسير المنار: ٤١٦/٧).

وقال تعالى: «قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ» (النمل: ٥٩)، وقد أفادت الآية أن الذي يستحق الحمد

والثناء هو الله تعالى، وذلك لكمال أوصافه وجميل معروفه، ومن ذلك اصطفاؤه للأنبياء والمرسلين، وهي من أعظم نعم الله على خلقه كما أخبر سبحانه وتعالى عن أصحاب الجنة أنهم يحمدون ربهم على صدق ما وعدهم به من إدخالهم الجنة والتمتع بألوان النعيم، قال تعالى: «وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ» (الزمر: ٧٤)، كما حمد سبحانه وتعالى نفسه في الأولى والآخرة، فقال: «وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (القصص: ٧٠).

وهذه الآية من أعظم ألوان المدح والثناء لرب العالمين، حيث شملت الحمد له في الزمان كله، في الأولى والآخرة. قال ابن كثير رحمه الله: ««وهو الله لا إله إلا هو» أي: هو المتفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا ربَّ يخلق ما يشاء ويختار سواه. «له الحمد في الأولى والآخرة» أي: في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته، «وله الحكم» أي: الذي لا معقب له، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، «واليه ترجعون» أي: جميعكم يوم القيامة فيجزي كل عامل بعمله، من خير وشر، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال». (تفسير ابن كثير ٣/٥٤٠).

ويلاحظ من جميع الآيات السابقة: أن الله تعالى نبَّه على شمول حمده لخلقه وأمره، بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعند الأمر والشرع، وحمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية وعلى حياته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليق بكماله من اتخاذ الولد والشريك، وموالاة أحد من خلقه لحاجة إليه؛ لأنه رب العالمين، وحمد نفسه على علوه وكبريائه، وحمد نفسه في الأولى والآخرة؛ لأنه مالكها والمتصرف فيها، وأخبر عن سريان حمده في العالم العلوي والسفلي، ونبّه على هذا كله في كتابه، وحمد نفسه عليه، فنوّع حمده وأسباب حمده، وجمعها تارة، وفرّقها أخرى ليتعرف إلى عباده، ويعرِّفهم كيف يحمدونه، وكيف يُثنون عليه، كما أنه سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه الواصلة لجميع خلقه برَهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فسبحان من له الحمد في الأولى والآخرة. (انظر: طريق الهجرتين لابن القيم ص٢٧٠).

والحميد من أسماء الله الحسنى، وهو فعيل بمعنى مفعول، يعني: محمود، فهو الذي يُحمَد على جميع أفعاله، سبحانه وتعالى. قال الخطابي: «الحميد» هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يُحمَد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أعماله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود على كل حال. (شأن الدعاء للخطابي ص٢٨).

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، وجاء مقرونًا بغيره من الأسماء، ليدل على الكمال المطلق لله، والحمد الكامل له جل في علاه، وأكثر ما قرن هذا الاسم باسمه الغني، كقوله: «وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا» (النساء:١٣١).

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره للآية: «والحميد الذي استوجب عليكم أيها الخلق الحمد بصنائعه الحميدة إليكم، وآلائه الجميلة لديكم، فاستديموا ذلك أيها الناس باتقائه، والمسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه». (تفسير الطبري ٥/٣٠٥).

كما ورد هذا الاسم مقرونًا باسمه العزيز، كما في قوله تعالى: «الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ» (إبراهيم:١). كما ورد مقرونًا باسمه الحكيم، كما جاء في قوله: «لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت:٤٢). كما قرن باسمه الولي، كما في قوله تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ» (الشورى:٢٨). وهذا الاقتران يدل على كمال فوق كمال.

**والحمد لله رب العالمين.**

# سُورَةُ العَنكَبُوت

قال الله تعالى:

« وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) »

(العنكبوت: ٥٠- ٥٢)

**إعداد: د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

### تعنت المشركين:

«وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ» يريدون آيات محسوسة، كناقة صالح، وعصا موسى، وإبراء الأكمه والأبرص، كما كان يفعل عيسى. كما قال تعالى: « بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ » (الأنبياء:٥).

وسمُّوا هم بعض الآيات التي يريدونها، « وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا » (الفرقان:٧-٨).

« وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا » (الإسراء:٩٠-٩٣).

وقال هنا: «قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ٥٠». فالرسول لا يملك الآيات ولا يقدر عليها، كما قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » (الرعد:٣٨).

وبهذا أجابت الرُّسل أقوامهم لما «قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » (إبراهيم:١٠-١١).

وقد بيَّن الله تعالى العلة المانعة من إجابتهم إلى ما سألوا، فقال: «وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا » (الإسراء:٥٩). فقوم صالح سألوه آية فأجيبوا إلى ما سألوا، ثم نقضوا عهدهم وكذَّبوا رسولهم، «فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ » (الأعراف:٧٧-٧٨). فلو أجاب الله قوم محمد صلى الله عليه وسلم ثم كفروا لعذَّبهم، وقد جعل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لهم وإن لم يؤمنوا، كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (الأنبياء: ١٠٧)، فكان عدم إجابتهم إلى ما سألوا من

الآيات رحمة بهم.

### وجوب الاكتفاء بالقرآن عما سواه:

ثم قال تعالى: «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم» . فلو كانوا صادقين في تعليق الإيمان على الآيات، فقد أنزل الله عليك الكتاب وهو أكبر آية، حيث جاء على لسانك وأنت الأمي، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله وهم الفصحاء البلغاء، فكان يجب أن يعلموا إذ عجزوا عن الإتيان بشيء من مثله أنه آية أيدك الله بها، كما قال صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». (صحيح البخاري: ٤٩٨١).

«إنَّ في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون» والقوم لم يكونوا مؤمنين فلم ينتفعوا برحمة القرآن، ولم يتذكروا.

وإذا كان الله تعالى عاب على المشركين عدم اكتفائهم في الآيات بالقرآن، فقد عاب النبيُّ صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه قراءتهم التوراة وعدم اكتفائهم بالقرآن:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى صلى الله عليه وسلم كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني». (أخرجه أحمد في المسند وحسنه الألباني في الإرواء: ١٥٨٩).

فالواجب على المسلمين أن يكتفوا بالقرآن عن كل كتاب، وبشريعة القرآن عن كل شريعة، فإن الله تعالى قال: «إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ» (الأنبياء: ١٠٦) أي: يتبلغون به في الوصول إلى ربهم، وإلى دار كرامته، فوصلهم إلى أجل المطالب، وأفضل الرغائب، وليس للعابدين- الذين هم أشرف الخلق- وراءه غاية، لأنه الكفيل بمعرفة ربهم، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبالإخبار بالغيوب الصادقة، وبالدعوة لحقائق الإيمان، وشواهد الإيقان، المبيّن للمأمورات كلها، والمنهيات جميعًا، المعرِّف بعيوب النفس والعمل، والطرق التي ينبغي سلوكها في دقيق الدين وجليله، والتحذير من طرق الشيطان، وبيان مداخله على الإنسان، فمَنْ لم يغنه القرآن فلا أغناه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله. (تيسير الكريم الرحمن ٥/٢٦٧).

### مزايا القرآن:

وقد أشار قوله تعالى: «يتلى عليهم» وما بعده إلى خمس مزايا للقرآن على غيره من المعجزات:

المزيَّة الأولى: ما أشار إليه قوله «يتلى عليهم» من انتشار إعجازه وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة، بحيث لا يختص بإدراك إعجازه فريق خاص في زمن خاص شأن المعجزات المشهودة مثل عصا موسى وناقة صالح وبرء الأكمه، فهو يتلى، ومن ضمن تلاوته الآيات التي تحدت الناس بمعارضته، وسجلت عليهم عجزهم عن المعارضة من قبل محاولتهم إياها، فكان كما قال، فهو معجزة باقية، والمعجزات الأخرى معجزات زائلة.

المزيَّة الثانية: كونه مما يتلى، فإن ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى أحوالا مرئية، لأن إدراك المتلو إدراك عقليٌّ فكريٌّ، وهو أعلى من المدركات الحسية، فكانت معجزة القرآن أليق بما يستقبل من عصور العلم التي تهيأت إليها الإنسانية.

المزيَّة الثالثة: ما أشار إليه قوله: «إن في ذلك لرحمة»، فإنها واردة مورد التعليل للتعجيب من عدم اكتفائهم بالكتاب، وفي التعليل تتميم لما اقتضاه التعبير بالكتاب وب «يتلى عليهم»، فالإشارة ب «ذلك» إلى الكتاب، ليستحضر بصفاته كلها، وللتنويه به بما تقتضيه الإشارة من التعظيم. وتنكير «لرحمة» للتعظيم، أي لا يقادر قدرها. فالكتاب المتلو مشتمل على ما هو رحمة لهم اشتمال الظرف على المظروف، لأنه يشتمل على إقامة الشريعة وهي رحمة وصلاح للناس في دنياهم. فالقرآن مع كونه معجزة دالة على صدق

الرسول صلى الله عليه وسلم ومرشدة إلى تصديقه مثل غيره من المعجزات، وهو أيضا وسيلة علم وتشريع وآداب للمتلو عليهم، وبذلك فضل غيره من المعجزات التي لا تفيد إلا تصديق الرسول الآتي بها.

المزية الرابعة: ما أشار إليه قوله: «وذكرى»، فإن القرآن مشتمل على مواعظ ونذر، وتعريف بعواقب الأعمال، وإعداد إلى الحياة الثانية، ونحو ذلك مما هو تذكير بما في تذكره خير الدارين، وبذلك فضل غيره من المعجزات الصامتة التي لا تفيد أزيد من كون الآتية على يديه صادقا.

المزية الخامسة: أن كون القرآن كتابا متلوا مستطاعا إدراك خصائصه لكل عربي، ولكل من حذق العربية من غير العرب، مثل أئمة العربية، يبعده عن مشابهة نفثات السحرة والطلاسم، فلا يستطيع طاعن أن يزعم أنه تخيلات كما قال قوم فرعون لموسى: «وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ» (الزخرف:٤٩)، وقال تعالى حكاية عن المشركين حين رأوا معجزة انشقاق القمر: «وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» (القمر: ٢)، فأشار قوله: «يعرضوا» إلى أن ذلك القول صدر عنهم في معجزة مرئية.

وعلق بالرحمة والذكرى قوله: «لقوم يؤمنون» للإشارة إلى أن تلك منافع من القرآن زائدة على ما في المعجزات الأخرى من المنفعة التي هي منفعة الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهذه مزايا عظيمة لمعجزة القرآن حاصلة في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيبته، ومستقلة عن الحاجة إلى بيانه وتكميله بالدعوة وبتكريرها.

واستحضار المؤمنين بعنوان: «لقوم يؤمنون» دون أن يقال: للمؤمنين، لما في لفظ قوم من الإيماء إلى أن الإيمان من مقومات قوميتهم، أي لقوم شعارهم أن يؤمنوا، يعني لقوم شعارهم النظر والإنصاف، فإذا قامت لهم دلائل الإيمان آمنوا ولم يكابروا ظلما وعلوا، فالفعل مراد به الحال القريبة من الاستقبال. وفيه تعريض بالذين لم يكتفوا بمعجزته واقترحوا آيات أخرى لا نسبة بينه وبينها. (التحرير والتنوير ٢١/ ١٥).

## شهادة الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة:

«قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض»:

لقد صرح الله تعالى في القرآن الكريم بشهادته لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة في أكثر من آية، قال تعالى: «وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا» (النساء: ٧٩)، وقال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ» (الفتح: ٢٨).

وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستشهد به على كونه رسوله:

قال تعالى: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» (الأنعام١٩)، وقال تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» (الرعد:٤٣)، وقال تعالى: «قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» (الإسراء: ٩٦).

قال العلماء في شهادة الله لمحمد بالرسالة: من أسماء الله تعالى المؤمن، ومعناه المصدق، والله تعالى قد صدق رسوله في كل ما أخبر به، فلقد بعث صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل، بشيرا ونذيرا للناس كافة، فكفر به الملأ، وآمن به نفر قليل من المستضعفين، فاضطهدهم الكفرة الفجرة، وساموهم سوء العذاب، ومع ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصيهم بالصبر، ويبشرهم بالنصر، ويحذر الكفرة الفجرة من الإصرار على الكفر، وينذرهم سوء العذاب، وكان كل ما أخبر به من آمن ومن كفر.

وجملة: «يعلم ما في السماء والأرض» مقررة لمعنى الاكتفاء به سبحانه شهيدا، فهي تتنزل منها منزلة التوكيد. (التحرير والتنوير (٢١/ ١٧).

«والذين آمنوا بالباطل» وهو كل ما عبد من دون الله، «وكفروا بالله» وهو الحق، «أولئك هم الخاسرون ٥٢»، «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» (الزمر:١٥).

وللحديث بقية إن شاء الله.

# إتحاف النبلاء ببيان فضل الغربة وقوة الغرباء

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله الذي تفضل علينا بما نحن فيه، والصلاة والسلام على محمد وآله ومتبعيه، وبعد:

فقد تقدمت حلقة في هذا الموضوع تناولنا فيها في الغربة نصًا شريفًا ذكرًا وتخريجًا وشرحًا للمعنى العام، واستمرارًا لما تفضل الله به علينا من خير ومَنَّ علينا به من فضل في إدراك حقيقة الغربة، وكونها نعمة من الله؛ نستكمل حديثنا في روضات النص الشريف مشيرين في طيات البحث إلى ما سبق ذكْره مجملاً.

### الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الإِسْلام غَرِيباً، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" رواه مسلم.

### تخريج الحديث:

١- تقدم ذكره فليراجع تفضلاً، واختصارًا فقد رواه مسلم في: كتاب الايمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين، رقم (١٤٥)، (١/ ١٣٠). وانفرد به عن البخاري رحمهما الله.

٢- وهذا الحديث وبحسب أقوال أهل العلم من متواتر المعنى على الأقل إن لم يكن من متواتر اللفظ في بعض عباراته؛ إذ قد وردت رواياته حول قضيته ومعناه -باختلاف سياقاته وعباراته- من طرق كثيرة جدًا، موصولاً ومرسلاً، ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عدد كبير من الصحابة يربو على العشرين، وأشير إلى بعضها مما في ألفاظه زيادة تفيد في معناها.

المعنى العام للحديث: تقدم ذكره وخلاصته لتسهيل المتابعة:

١- بداية الغربة: بدأ الإسلام غريبًا حين بعث الله رسوله بنور التوحيد والإيمان، وأهل الأرض على اختلاف من الأديان، بين عُبَّاد أوثان ونيران، وصابئة وكهنة وصور وصلبان، فكان الإسلام والذي يسلم حينئذ يصير غريبًا في حيه وقبيلته، وبين أهله وعشيرته.

٢- والبشارة: أن الغربة قوة يتلوها نصر إن شاء الله (سبق تفصيله).

٣- ثم نماذج من الغربة الآنية على سبيل الإجمال: ومن ذلك اجتماع جيوش الشيطان من المشتركات

العقدية المنحرفة كالاشتراكية والعلمانية والحداثوية (أي: القراءات الحديثة للنصوص الشرعية المنحرفة عن المفاهيم السنية السلفية)، والمثلية الجنسية والحرية العبادية بكافة صورها الإلحادية، ونحوها من العناوين الظلامية من المشتركات اللفظية في مآربها وإن تعددت مصادرها ومواردها فهي غربة جديدة سبقتها غربة أولى قال أهلها عندما جاءهم البشير يدعوهم إلى الحرية الحقيقية فيخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة قالوا: «أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» (ص:٥). «مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا» (ص:٧).

### ٤- فطوبى للغرباء

فطوبى للغرباء الأولين من السلف وأتباعهم الطيبين من الخلف أهل الاستقامة والديانة وصفهم عليه الصلاة والسلام: (الذين يُصلحون إذا فسد الناس).

ولاستكمال بحثنا مما منّ به علينا به ربنا من عرض بعض ما يستفاد نقول:

**الفائدة الأولى:** الحديث دليل من دلائل النبوة وزيادة الإيمان، ودلائل النبوة من المنح الإلهية لزيادة إيمان المؤمنين وتثبيت الصادقين؛ حيث أخبر النبي الأمين صلى الله عليه وسلم عن شيء سيحدث في المستقبل وهو غربة الإسلام وهو حادث واقع نحياه وواقع مشاهد عايناه، فكان على ألمه وغرابته من مفاخر الإسلام ودلائل الإيمان.

هذا وإن كان الشيء بالشيء يذكر وقد لاقى قدرًا أن تسطر هذه الكليمات استعدادًا لعدد المجلة في شهر رجب، وقد سطرتها ليلة السبت في آخر يوم من العام الميلادي المنصرم ووجدنا من الغربة المبشّر بها أن الناس من حولنا دخلوا في نزاع لم نسمع عنه من قبل في بلادنا الحبيبة نزاع حول جواز تهنئة غير المسلمين عمومًا أو النصارى خصوصًا بأعيادهم الدينية المتعلقة بعقائد الناس في ربهم وفي نبيهم صلى الله عليه وسلم؛ فقلت: سبحان الله ما من محنة إلا وفي طياتها منحة؛ فمحنة الخوض في هذه الفتنة التي يحدثها مغرضون لا يريدون لنا قرار العين الذي كنا نحياه جميعًا مع غير المسلمين شركاء متبارين كما قال الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(الممتحنة:٨). قال أهل التأويل: هذه الآية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة.

قال ابن حجر في الفتح (٢٣٣/٥): ”البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد (أي: القلبي) المنهي عنه في قوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (المجادلة: ٢٢).

وعليه يتضح لكل منصف وسطية الإسلام وسوي دعاته وأوليتهم بالحفاظ على نسيج من المودة بين أبنائه والبر مع الموافق والمخالف وأن الموالاة الممثلة في الحب والنصرة بين أهله شيء والبر والصلة والإحسان لغير المسلمين شيء آخر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الأصل أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دل الكتاب والسنة على شرعه؛ إذ الدين ما شرعه الله، والحرام ما حرّمه الله، بخلاف الذين ذمّهم الله؛ حيث حرموا من دون الله

ما لم يحرمه الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطاناً، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله.

وانطلاقاً من هذه القاعدة وبناء على النصوص الشرعية وسيرة خير البرية وأصحابه الراشدين وأئمة المسلمين نقول: إن التعامل مع غير المسلمين في البيع والشراء والهدية والبر مأذون به والمأذون به سنة لا سيما مع هذه الهجمات الشرسة التي تبغي لبلادنا الفتنة وفي بلادنا من البسطاء سماعون لهم فجعلوا الإسلام غريبًا.

وهذا البر قبل فتنتهم كانت بلادنا تحياه بلا فتن في ظل عقيدة صافية تتأصل من صحيح الدين وينشرها من العلماء المخلصين أزاهرة وغيرهم رسميون وغير رسميين، ومن شواهد ذلك كثير من مقالات السادة العلماء ومؤلفات الأكابر المبدعين البلغاء (وينظر: كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ رئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر في غضون ١٩٢٧م تقريبًا)؛ إذ العقائد من المُسلَّمات التي أمر بصحيحها شرعًا ربُّ الأرض والسموات كما قال تعالى: (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) (الزمر:٧)، حتى وإن ترك للعبد فيها اختياره كونًا كما قال تعالى: (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) (الكهف:٢٩).

ثم إذا بنا بعد كل هذا البيان الجلي من الرب العلي نجد في هذه الأيام الغابرة المتأخرة جيوشًا من المغرضين خرجوا على مجتمع آمن فاهم مستقر يعرف لكل حقه فخرجوا بنواياهم المخلوطة المشبوهة يصدرون للناس أفكارًا جديدة مغلوطة على جلّ علماء المسلمين. ويا ليتهم ما ركبوا إله الهوى ورجعوا إلى أولي العلم والنُّهى: لعَلمه الذين يستنبطونه منهم، بل تعالموا بها وتصدروا حتى صار الإسلام الحق المنبثق من الكتاب والسنة صار بين باطلهم غريبًا. فطوبى له وبشرى وحسن مئاب ببشارة النبي العدنان كما قال: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء". (وينظر: السياسة الشرعية ص١٥٥)

**الفائدة الثانية:** الغربة بمعناها الشرعي قوة يسعى المسلم للحفاظ عليها.

هذا ولما كان من معاني الغربة الشرعية الحقيقية هو تديُّن الخلق بدين الحق المرتضى من الله ثم على الشريعة الصحيحة المنزلة من الله ثُم على المنهج الصحيح المفهوم من هذه الشريعة الصحيحة ثم على التطبيق الصحيح لهذا المنهج الصحيح بما يرضي الله نية واتباعًا، إن كان هذا هو خلاصة معنى الغربة؛ فإنه نعمت الغربة التي هي حقيقة الالتزام بدين الإسلام.

وعليه فهذه الغربة هي الموعودة بالنصر من رب الأنام؛ فقلة العدد فيها لا تؤثر، إذ النصر ليس معلقًا بعدد ولا عدة، ولا أسباب، وإنما الوعد متعلق بحقيقة تحقيق التوحيد الخالص المحقق لما سبق من معنى الغربة.

وعليه فيجب ثم يجب ثم يجب أن يعتني دعاة الإسلام بتنقية الصف المسلم من كل شائبة؛ سعيًا لتحقيق هذه الغربة الحقيقة المشرفة المؤملة بالسعادة والنصر والريادة، تنقيتها من كل ما يخالف سواها؛ فتتنقى أولاً: من كل دعي لدين غير دين الإسلام مهما تبهرج وتجمل وانتشر وتعالم وتوج وروج، ثم تتنقى ثانيًا: من كل دخيل على هذا الدين من شرائع مخترعة وطرق مخلوقة مصنوعة ونصوص موضوعة وأوراد وعبادات مؤلفة، ثم تنتقى ثالثًا: من كل منهج فهم خطأ أو تعمد أهله تبنيه جهلاً أو قصدًا من مناهج باطلة مكفرة أو مجرحة أو مفجرة أو معطلة أو منكرة لسنة أو متبنية لبدعة أو محادة لأولياء الله أو خارجة على الأمراء والسادة العلماء الأتقياء، ثم تتنقى رابعًا: من المفاهيم المغلوطة والعلوم القاصرة عن التطبيق الصحيح لصحيح الدين ونقي الشريعة واستقامة المنهج فلا يقل التطبيق الصحيح

أهمية عما سبق.

وعلى ما سبق فإن القوة كل القوة في هذه الغربة الصافية النقية ومن توفرت فيه فهو الجماعة ولو كان وحده وهو الأمة ولو كان بمفرده.

هذا وإن كان ما سبق بيانه هو كلام مجمل في حقيقة الغربة فلا يمنع ذلك من ضرب المثال لما انتشر من الأديان المؤلفة والشرائع القبيحة المحرفة والمناهج الفاسدة والتطبيقات الخاطئة الكاسدة.

فنجد فئامًا من الناس يصل بهم التحريف والحيف إلى الاعتراف بما سوى الإسلام دينا وقد قال الله تعالى: ( إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) (آل عمران:١٩) وقال: ( وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) (آل عمران:٨٥)؛ فهل بعد هذا البيان من بيان؟ وبعد هذا العنوان من غشيان؟ فأنى لعالم أو داعية أو متبنٍ للقضية أو حتى من عوام المسلمين أنى لمن قرأ القرآن أن يدعي هذا الكلام فيقول كل الأديان سواء وأن الجنة ليست حكرًا على المسلمين، ألا فهدى الله وسامح مثل هذا الإنسان مهما زعم علمًا أو حُسن بيان.

وآخرون اعترفوا بما سبق من حقيقة وحدة الدين، وأنه دين كل الأنبياء والمرسلين وأن المنحرف عن الإسلام مغبون وإن مات على غيره فلا يرجى له من الله جنان ولا غفران، لكنهم مع هذا الاعتراف انحرفوا بالشريعة عن حقيقتها فبنوا شريعتهم على غير نص أصلاً أو على نص موضوع غير شريف أو فهم معوج للنص الصحيح، فلا استقامة فيه لفهمهم كتلك التي عجت بها ساحات الموالد وقبور تطفح بالمفاسد والموائد على اختلاف درجاتها من المخالفة من صغائر ممقوتة وشركيات منهي عنها.

وآخرون: تمسكوا بالنص الشريف لكنهم حادوا عن الفهم السوي النظيف فاخترعوا مناهج منحرفة كفرية أو سقيمة بدعية مرضية؛ فنجد جماعات التكفير والتفجير والتجريح والتبديع والتنفير، فنسبوا بذلك للدين ما ليس منه وصنعوا له وجهًا قبيحًا ليس وجهه فديننا وسطي سمح، ونصوصنا لا ينكسر لفاهمها رمح كما قال تعالى: ( وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ) البقرة: ١٤٣.

- وآخرون تجنبوا جميع ما سبق من الانحرافات فهدوا إلى دين الإسلام ثم إلى صحيح الدين ثم إلى منهج مستقيم لكنهم وقعوا في آخر الأمر إلى تطبيق غير مرضي ولا مقبول كمن فهم تغيير المنكر على غير حقيقته فقتلوا وخربوا وهجروا وفتنوا ودمروا وفرقوا؛ فالله المشتكى والله المستعان.

- ثم لا يفوتنا الإشارة إلى فئة: جمعت بين كل خصال السوء، فلم نعرف لها علمًا ولم نرَ لها فهمًا، وليتهم على سوء فهمهم وقلة علمهم أراحوا العباد من شرهم إلا إنهم خرجوا على الناس بجهلهم المركب فتبوؤا من المنابر ما أوصلوا به أصواتهم إلى العمائر بل والمقابر، اعترضوا على الله وعلى رسول الله وعلى خير الخلق والقرون وعلى كل داع للخير والجنان ومُحذِّر من الشر والنيران تركب جهلهم من الأربعة فئات الضالة السابق ذكرها فلا نجد لأمثالهم تفسيرًا إلا أن نقول كما قال الله تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (سورة الجاثية: ٢٣)، وما ذكر الهوى في القرآن إلا وهو مذموم.

فكانت غربة المستقيمين بين جحافل المنحرفين قوة لهم تستمد قوتهم من معية رب العالمين وسنة الله في الغابرين، فيا أيها الغرباء بشراكم ببشرى خاتم الأنبياء.

وللحديث صلة إن شاء الله، والأعمال بالنيات، وأستغفر رب الأرض والسموات لي ولكم والمسلمين.

# أمّة الإسلام.. بين تعتيم الرُّموز وتسميم الكُنوز

إعداد **د. عماد عيسى**

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله، وبعد.

فيقول الله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ » (الأنعام: ٥٥)، وانني لمّا كنتُ منذ زمن بعيد أتابع كتب واصدارات العلمانيين، وأطالع منشورات اللادينيين، وأبحث وأنقب عن مطاوي المستغربين، لأقف على طرائق القوم في حروبهم على الأمة وافسادهم لأجيالها.

وجدت أن القوم يحتفلون احتفالا بأئمتهم في الجهالة، ويحتفون احتفاءً بشيوخهم في الضلالة، ولا يفتؤون عن الكتابة عنهم، ولا يكلون من الإشادة بهم في كلِ المحافل، ولا يملُون من التعويل عليهم في كل المَجامع، وكأن هؤلاء قد شادوا الدين، وشيّدوا مَجْدَه المكين، وبنَوْا دعائم عزه المتين، مع أنهم كانوا من أشقياء الكنانة، نعوذ بالله من الشقاوة والخذلان.

وأكثر ما كنت أرى ذلك في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة حضرت منها زمنًا طويلًا زهاء خمسة وعشرين عامًا أو أكثر، فقد كانت أسماؤهم لامعة، وكتبهم ذائعة، وأفكارهم شائعة، وهم قائمة طويلة ممن يقال لهم «التنويريون».

وكان هؤلاء قد تشربوا بعض الفكر الغربي، ووقعوا في أحابيل النفوذ الأجنبي من خلال حركة الابتعاث والإرساليات إلى بلاد الغرب والشرق وأوروبا وغيرها.

### الحقيقة المُرّة:

الحقيقة المُرَة أن دعاة التنوير كانوا مَعاولِ هدْم، وأيادي توْهين لكلَ فاضل في الأمّة وكل ذي عَزم، وقد رأينا كيف عَرّوا النَساء من حجابهن، ونشروا الرَذيلة، وكيف اجتهدوا في طمس الهوية، وعملوا على إجهاض الأمة، بل على عقمها بحيث لا تلد مصلحًا لمسيرتها ونافعًا، ولا تنجب لحضارتها مجددًا لمنهجها ورافعًا، ولا تأتي بمصلح حافظا لها من المؤامرات ومانعًا، ولا يخرج فيها من يرد هؤلاء الرماة الغاشون ورادعًا، وعملوا كل الحيل لِوأد اللغة العربية، واقتلاعها من جذورها، وخطوا لأبناء ذاك الجيل ولمن بعده من أجيال خطوطا يمشون عليها، ونسجوا لهم خيوطا ينسجون على منوالها ويغدُون ويروحون إليها، حتى

نقلوا نفوسًا كثيرة عن طباعها، وقلبوا بعض الأخلاق من الغيْرة والحشمة والرُّجولة إلى أضْدادها من الدياثة والسَّفه، والتخنُّث في الأخلاق، والتأنث في الطباع.

### التقليد الأعمى:

كانت آفة هؤلاء أنهم بتقليد أعمى تشرّبوا بعض الفكر الغربي بلا فهم لخطر معناه، ولا إدراك لفداحة مغزاه، والحقيقة أنهم لم يخترعوا شيئًا ولم يفقهوا حتى من الفكر الغربي ما يمكنهم من القناعة والإقناع به، بل كانوا يقلدون أساتذتهم من المستشرقين، ويتقمشون بعض الكتابات من دهاقنة الاستشراق ثم ينقلونها بأقلامهم وأسلوبهم، وربّما نقلوها إلى العربيّة بفصّها ونصّها، ثم ادعوها لأنفسهم فهم غايتهم أن يتقمموا على موائد الغرب، ثم يقيئون في بلاد العروبة ما تقمَّموه، فغاية أمرهم أنهم كانوا جسورا لنقل الفكر الغربي، وقنطرة لنشر الأفكار اللادينية كالإلحاد والماركسية والعلمانية والليبرالية حتى سمموا عُقول الأجيال، وعكّروا صفوَ المعارف، وشوّهوا صورةَ الهُويَة الإسلامية، وغيّروا ملامحها، وحاولوا نشر زَعْزعة الثوابت، وإحلال المتغيرات مكانها، بل المنكرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

### قلب الحقائق وتغييب العقول:

فلمّا رجعوا إلى بلاد الإسلام خاصة بلاد مصر اجتهدوا في بناء معسكر التغريب، وعملوا وكلاء عن أعْداء الأمة على غزْو أمّتهم وجيلهم غزوًا ثقافيًا، وأصبحوا حماةً لثقافة الأمم الغربيّة والديانة النصرانية من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

فأوهموا أبناء جيلهم أنهم القمم الشوامخ، وأهل القدوة، لاسيّما في الأدب والشعر، مع أنهم خُصوم من أشد خُصوم اللغة العربية، وألدّ أعداء الأدب العربيّ، وأكثر الناس كراهية لأخلاق الأمة ودينها وتراثها، مع أنه كان في زمان هؤلاء قامات وهداة، منهم: مصطفى صادق الرافعي، ومحمد رشيد رضا، وبعدهم أحمد شاكر، ومحمود شاكر، وعبد السلام هارون، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ومُحبّ الدين الخطيب، ومحمد محمد حسين، وغيرهم، رحم الله الجميع، وهكذا عملوا على أمرين: الأول: التعتيم على من عندنا من الرموز، والثاني: التسميم لما بين أيدينا من الكنوز.

### التعتيم على الرموز:

هذه الطريقة افتعلها المشركون مع الأنبياء والرسل، فقالوا فيهم منكرًا من القول وزورًا، واتهموهم بالجنون، وقلة العقل، مع أن الرسل والأنبياء هم أكمل الناس عقلا، وأعظم الخليقة فضلا، فلما عجزوا عن تنفير الناس من الرسل، وأن كلامهم لا يكاد يُصدَّق في الأنبياء، عذبوا أتباع الرسل وساموهم سوء العذاب.

وهؤلاء المرجفون حاولوا إبعاد الناس بهذه الطرق التي فعلها من قبلهم من مكذبي الرسل، فتشابهت قلوبهم، فعملوا على تجاهل العلماء المخلصين، والتنكر للقامات الشامخة، وتقزيم القمم السامقة من أمثال العلماء الكبار الذين حافظوا على عُلوم الإسلام وحموا هُويةَ الأمّة من التغيير والتعكير.

وكان هذا التعتيم هو الضربة الموجعة لأنه يُمثّل غيابَ أهل القدْوة، ويهيئ لحضور من لا يصلحون للأسوة، وكان هذا التَّعتيم عبارة عن خُطوتيْن ممزوجتين في خُطوة واحدة، ومكيدتين مختزلتيْن في مكيدة واحدة، وضربتيْن مَجْمُوعتيْن في ضربة واحدة.

الأولى: إبْعادُ العلماء المُصلحين عن القدوة:

كان عملهم إبْعادُ العلماء المُصلحين عن المجامع العلمية، وعزل الدُّعاة الغيُورين عن السَّاحة، وتغييبهم عن الأسماع والأبصار، وضرب سور ليس له باب بين الأجيال وبين المصلحين، ظاهرُه فيه التجديد والتقدّم، وباطنه فيه وأد تراث المسلمين التليد، وقتل وطيّ الماضي المَجيد، حتى يُمرّروا مكائدهم، ويبلغوا من مخططهم غايتهم، ومن أراد أن يستوثق من ذلك فليبحث عن أمثال: شيخ العربية محمود شاكر، وعميد المحققين عبد السلام هارون، وإمام النحو والصرف محمد

محيي الدين عبد الحميد.

الثانية: تصدير جيل من أخلاس المقاهي، وزعانف الأدباء.

وهذا الجيل الذي قدموه كان رموزه مقطوعي الصلة بتراثنا، ومعدومي الوشائج به، ممن صنعوهم على أيديهم، ورضعوا لبانهم، وصاروا يتكلمون بألسنة عربية، ويفكرون بعقول غربية، فقامت قوى التغريب والاستشراق بتقديمهم، وأعتدت بلاد مصر وأرض الكنانة لهم متكئا يبثون منها سمومهم، وينفثون منها سحرهم، وقد استغلوا أحوال الأمة إذ كانت عزائم أبنائها مسترخية، والجهل فيها فاش بسبب كساد سوق العلم، وفي زمن كانت الصوارف جمَّة أعمت الأبصار، وأصمت الأسماع، عن الشعور بالخطر الداهم، ومن هنا دخل الدَّخل.

### تسميم الكنوز:

كان ذلك عن طريق عبثهم بالكتب والعلوم والعقول والأفكار، كما فعل اليهود في تحريفهم التوراة والإنجيل، ومحاولة إثارة الشبهات على الإسلام، وقد فعلوا في ذلك ما لا يخطر على بال، ولا يدور في خيال، بدءًا ببث المتسللين منهم لواذًا إلى بلاد الشرق ليتعلموا ديننا وعلومنا حتى يستطيعوا أن يحاربونا بسلاحنا.

ثم أتبعوا ذلك بسرقة كتبنا وتراثنا، فحملوا من ذلك أثقالا وأحمالا، ثم أحصوا النبهاء والنبلاء ومن كان ينتظره في العلم مستقبل مشرق فقتلوا منهم من قتلوا، وسرقوا كتبهم حتى يعجزوهم عن بلوغ غرضهم.

وكل هذه المراحل هي خطوات خطاها المستشرقون بخطى ثابتة، ومكر خفيّ حتى بلغوا مأربهم وحققوا مرادهم.

ثم استحوذوا على عقول بعض الفتيان، واستغلوا حدثاء الأسنان، وجعلوا منهم غلمان المستشرقين، فغيّروا وعكّروا، غيّروا الأجيال وملئوا عقولهم بالسمّ الزعاف، وغيّروا في قلوبهم وعقولهم مفاهيم الإسلام وشوّهوا معالم الدين، وعكّروا صفو الدين في نفوسهم. وأحلوا محلّ مفاهيم الإسلام عصارة وخلاصة الفكر الغربي، ومضامين نظرياتهم التي كان أكثرها من اليهود مثل: ماركس وداروِن وفرويد.

ثم أعادوهم إلى بلاد الإسلام ليكونوا وكلاء لهم ونوّابا في نشر الفكر الأوربي، وليقوموا مع ذلك تبعًا بتغيير ملامح الأمة والمجتمع المسلم، وتذويب ذاتيتها والقضاء على ثقافتها الأصيلة.

وبهذا يتم تحويل البوصلة، ومحو الهويَة، ومسخ الفكر، وتمييع الدين، وتحويل الوجهة.

### جُندُ الله على الرَّصد:

وقف في وجه هذه المؤامرات أناسٌ مُجاهدون في محراب العلم واللغة والثقافة والأدب، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فحافظوا على الأصالة العربيّة والإسلاميّة، وحققوا النهضة التي نعيش إلى اليوم في خيرها، ونتفيؤ ظلالها.

قال الامام البخاري: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ يُقَاتِلُونَ» وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ.

عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» رواه البخاري (٧٣١١).

وعن أَبِي عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ بِغَرْسٍ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ» رواه أحمد.

### واجب الأمة الأكيد:

الواجب على الأمة اليوم إيجاد جيل واع، قوي الإدراك، واسع الأفق، كجيل الرافعي ومحمود شاكر وغيرهما يشبه ذلك الجيل، وصناعة قبيل يضارع هذا القبيل الذي كان على الجادّة، ولم يتلوث بأفكار مستوردة، ولم يتأثر بأحوال الجماعات المتفرقة، والطوائف المتمزّقة، التي ذهبت ذات اليمين وذات الشمال، والتي طوّحت بها الأفكار في النواحي، واختلفت في الأهداف وتعددت في المناحي، فأخذت بعضا وتركت بعضا، واشتغلت بشيء وأهملت شيئًا، حتى صارت مسيرة الأمة عرجاء كأنما تسير على قدم واحدة، فتأخر عن الأمم سيرها، وضعف مشيها.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

# الحقوق الزوجية

**بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد، فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن الحقوق الزوجية: حق الزوجة على الزوج، وذكرنا منها الصداق، ومشروعيته، وحكم الزواج دون صداق، وقدر الصداق، وتعجيل الصداق وتأجيله، ونستكمل فقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.**

**د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

### متى يجب الصداق المسمى كله؟

يجب المهر المسمى في هاتين الحالتين:

١- إذا حصل البناء:

اتفق أهل العلم على أن للمرأة المهر كله إذا دخل بها الزوج دخولا حقيقيًا، وحجتهم قول الله تعالى: «وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء: ٢٠-٢١).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٥١/١): أي: إذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة، ويستبدل مكانها غيرها فلا يأخذ مما كان أصدق الأولى شيئًا، ولو كان قنطارًا من مال، وفي هذه الآية دلالة على جواز الإصداق بالمال الجزيل.

وقوله تعالى: «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ» (النساء: ٢١) أي: كيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضت إليك، قال غير واحد: يعني بذلك الجماع.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد فراغها من تلاعنهما: «إِنَّ الله يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَل مِنكُمَا تَائِبٌ، قالها ثلاثًا، فقال الرجل: يا رسول الله مالي-يعني ما أصدقها- قال: لا مَال لكَ إنْ كُنْتَ صَدقْتَ عَلَيْهَا فَهُوَ بمَا اسْتَحْللتَ منْ فرْجهَا وَإنْ كُنْتَ كذبْتَ عَلَيْهَا فَذَاكَ أبْعَدُ لَكَ» أخرجه البخاري (٥٣١٢) ومسلم (١٤٩٣).

جاء في تبيين الحقائق (٢/ ١٤٢): قال تعالى «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إلَى بَعْضٍ» (النساء: ٢١) أوجب جميع المهر بعد الافضاء وهو الخلوة؛ لأنه من الدخول في الفضاء.

جاء في الاستذكار (٤٣٦/٥): قال أبو عمر: بعد أن حكي قول أبي حنيفة وموافقيه: حجة هؤلاء كلهم الآثار عن الصحابة فيمن أغلق بابًا أو أرخى سترا أنه قد وجب عليه الصداق.

وقال الشافعي: إذا خلا بها ولم يجامعها ثم طلق فليس لها إلا نصف الصداق ولا عدة عليها، وهو قول أبي ثور وداود، وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس... إلى أن قال: وقال تعالى: «وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ من قَبْلِ أن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ»، وقال تعالى: «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا» (الأحزاب: ٤٩)، فأين المذهب عن كتاب الله تعالى؟ ولم يجتمعوا

على أن مراد الله عز وجل من خطابه هذا غير ظاهر، ولا تعرف العرب الخلوة دون وطء مسببًا والله أعلم اهـ.

جاء في الحاوي الكبير (٩/ ٥٤٠):

والقسم الثالث: أن يطلقها بعد الخلوة بها وقبل الإصابة لها، فقد اختلف الفقهاء فيه على ثلاث مذاهب:

أحدها: وهو قول الشافعي في الجديد والمعمول عليه من مذهبه: أنه ليس لها من المهر إلا نصفه، ولا تأثير للخلوة في كمال مهر ولا إيجاب عدة.

وبه قال من الصحابة: ابن عباس، وابن مسعود.

ومن التابعين: الشعبي، وابن سيرين، ومن الفقهاء: أبو ثور.

والمذهب الثاني: أن الخلوة كالدخول في كمال المهر ووجوب العدة، وبه قال من الصحابة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

ومن التابعين: الزهري ومن الفقهاء: الثوري وأبو حنيفة وبه قال الشافعي في القديم.

إلا أن أبا حنيفة يعتبر الخلوة التامة في كمال المهر ووجوب العدة بأن لا يكونا محرمين ولا صائمين.

والمذهب الثالث: أن الخلوة يد لمدعي الإصابة منهما في كمال المهر أو وجوب العدة، فإن لم يدعياها لم يكمل بالخلوة مهر ولا يجب بها عدة وهذا مذهب مالك، وبه قال الشافعي في الإملاء.

جاء في المغني لابن قدامة (٧/ ٢٤٨-٢٤٩) (وإذا خلا بها بعد العقد، فقال: لم أطأها وصدقته، لم يلتفت إلى قولهما، وكان حكمهما حكم الدخول، في جميع أمورهما، إلا في الرجوع إلى زوج طلقها ثلاثا، أو في الزنى، فإنهما يجلدان، ولا يرجمان) وجملة ذلك أن الرجل إذا خلا بامرأته بعد العقد الصحيح استقر عليه مهرها ووجبت عليها العدة، وإن لم يطأ. روي ذلك عن الخلفاء الراشدين وزيد، وابن عمر. وبه قال علي بن الحسين وعروة، وعطاء، والزهري، والأوزاعي، وإسحاق، وأصحاب الرأي.

قضى الخلفاء الراشدون المهديون، أن من أغلق بابا، أو أرخى سترا، فقد وجب المهر، ووجبت العدة.

جاء في السيل الجرار (٢/٢٨٧): أما الدخول فظاهر ولا خلاف فيه والنصوص متطابقة عليه، وأما الخلوة فلم يكن في المقام ما ينتهض للاحتجاج به، ولم يصح من المرفوع ما تقوم به الحجة... إلى أن قال: وقد قال الله عز وجل: «وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» (البقرة: ٢٣٧)، فإن كان المراد بالمس الجماع فظاهرٌ أن الخلوة ليست بجماع....

أما لزوم المهر بالوطء فأمرٌ أوضح من شمس النَّهار؛ لأنها بما استحل من فرجها.

٢- إذا مات أحد الزوجين قبل البناء:

إذا مات الزوج ولم يدخل بالمرأة أو ماتت المرأة قبل البناء، حق لها الصداق.

قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص: ١٢٤): واتفقوا على أن من مات أو ماتت وقد سُمّيَ لها صَداقٌ صَحيحٌ ووَطئها أوْ لمْ يَطأها، فلها جميع ذلك الصداق.

## متى يجب نصف الصداق؟

قال تعالى: «وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» (البقرة: ٢٣٧).

قال الإمام الطبري في تفسيره (٢/٧٣١): وتأويل ذلك: لا جناح عليكم أيها الناس إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة، فلهن عليكم نصف ما كنتم فرضتم لهن من قبل طلاقكم إياهن، يعني بذلك: فلهن عليكم نصف ما أصدقتموهن.

جاء في العناية شرح الهداية (٣/ ٣٢٢): (فإن طلقها قبل الدخول والخلوة فلها نصف المسمى لقوله تعالى «وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ»

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٥/٤٣٠): وقد أجمع المسلمون أن الثيبَ والبكرَ في استحقاق نصف المهر بالطلاق قبل الدخول سواء.

جاء في المحلى بالآثار (٩/ ٧٣): ومن طلق قبل أن يدخل بها فلها نصف الصداق الذي سمي لها لقوله تعالى: «وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» (البقرة: ٢٣٧) والله تعالى أعلم.

**وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.**

# منزلة الصلاة في الإسلام

إعداد **الشيخ/صلاح نجيب الدق**

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ للصَّلاة في الإسلام، بعد توحيد الله تَعَالى، منزلة رفيعة، لا تُعادلها منزلة أي عبادة أُخرى، فأقولُ وبالله سُبْحَانَه وتَعالى التوفيق:

معنى الصلاة في اللغة: الدُّعَاءُ بِالْخَيْر. قَالَ الله تَعَالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ) (التوبة: ١٠٣).

قَالَ الإِمَامُ الطبري (رَحِمَهُ الله): قَوْلُهُ: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) أيْ: اُدْعُ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَة لذُنُوبِهِمْ. (تفسير الطبري- ج ١١- ص ٦٥٩).

### (١) الصلاة أول فريضة بعد توحيد الله

قَالَ تعالى: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه، صلى الله عليه وسلم، قَالَ لِمُعَاذ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّه قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّه قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّه حِجَابٌ. (البخاري ٤٣٤٧، ومسلم ١٩).

### (٢) افتراض الصلاة على الأمم السابقة

قَالَ سُبْحَانَهُ عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: (رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) (إبراهيم: ٣٧)، وقَالَ تَعَالى عن موسى وهارون، صَلى الله عَلَيْهِما وَسَلَّمَ: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) (يونس: ٨٧).

وقَالَ الله تَعَالى عن عيسى صلى الله عليه وسلم: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) (مريم: ٣١).

### (٣) افتراض الصلاة على نبينا
### صلى الله عليه وسلم بدون واسطة

الدليلُ عَلى تعظيم منزلة الصلاة في الإسلام أن الله تَعَالى افترضها على نبينا محمد، صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بدون واسطة أحَدٍ من

الملائكة الكرام، وذلك حينما عُرجَ بالنبي، صلى الله عليه وسلم، إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة. وعَنْ أنس بنِ مالك رضي الله عنه أن رَسُول الله، صلى الله عليه وسلم، قال (وهو يتحدث عن رحلة الإسراء والمعراج): ففرض الله عزَّ وجل على أمتي خمسين صلاة. (البخاري حديث ٣٤٩، ومسلم حديث١٦٢)، ثم خففها الله تعالى برحمته فصارت خمسا في العمل وخمسين في الثواب.

### (٤) الصلاة أحد أركان الإسلام

عنْ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله، صلى الله عليه وسلم، قال: بُني الإسْلامُ على خمْسٍ: شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ مُحمدًا رسُولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجِّ، وصوْم رمضان. (البخاري حديث ٨، ومسلم حديث ١٦).

عنْ مُعاذ بن جبل رضي الله عنه أن النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، قال: ألا أخبرُك برأس الأمْر كُلِّه وعَمُوده وذرْوة سنامه. قلتُ: بلى يا رسُول الله. قال: رأسُ الأمْر الإسْلامُ وعَمُودهُ الصلاةُ وذرْوةُ سنامه الجهادُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢١١٠).

### (٥) الصلاة أول ما يحاسب الله عليه المسلم يوم القيامة

عنْ أبي هريرة أن النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، قال: إنَّ أوَّل ما يُحاسبُ به العبْدُ يوْم القيامة منْ عمله صلاتُه فإنْ صلحتْ فقدْ أفلح وأنْجح وإنْ فسدتْ فقدْ خابَ وخسر فإنْ انتقص منْ فريضته شيْءٌ قال الربُّ عزَّ وجل: انظرُوا هلْ لعبْدي منْ تطوُّعٍ؟ فيُكمَّل بها ما انتقص منْ الفريضة، ثمَّ يكونُ سائرُ عمله على ذلك. (صحيح الترمذي للألباني- حديث ٣٣٧).

### (٦) الصلاة أفضل الأعمال عند الله بعد التوحيد

عنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم،: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله ؟ قال: الصلاةُ على وقتها. قال: ثمَّ أيٌّ ؟ قال: برُّ الوالديْن. قال: ثمَّ أيٌّ ؟ قال: الجهادُ في سبيل الله. (البخاري حديث ٥٢٧ / مسلم حديث ٨٥).

### (٧) الصلاة قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه أن النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، قال: حُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا النِّساءُ والطِّيبُ وجُعلَ قُرَّةُ عيْني في الصَّلاة. (صحيح النسائي للألباني- حديث: ٣٩٤٩).

### (٨) المحافظة على الصلاة آخر وصية للنبي صلى الله عليه وسلم

عنْ علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: كانَ آخرُ كلام رسُولِ الله، صلى الله عليه وسلم،: الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكتْ أيْمانكُمْ. (صحيح أبي داود للألباني حديث: ٤٢٩٥).

### (٩) نبينا صلى الله عليه وسلم يأمر الآباء بتعليم أطفالهم الصلاة

الدليلُ على تعظيم منزلة الصلاة في الإسلام أنَّ النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، أمرَ الآباء بتعليم أبنائهم الصغار الصلاة والمحافظة على إقامتها، مع ضرب الأطفال ضرباً خفيفاً برحمة إذا تهاونوا في تركها، مع أنهم غير مُكلفين، وذلك حتى يعتادوا على إقامة الصلاة في باقي مراحل حياتهم.

عنْ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، قال: مُرُوا أوْلادكُمْ بالصَّلاة وهُمْ أبْناءُ سبْعِ سنين واضْربُوهُمْ عليْها وهُمْ أبْناءُ عشْرٍ وفرِّقُوا بيْنهُمْ في المضاجع. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤٦٦).

### (١٠) الصلاة صلة بين المسلم وبين الله تعالى

عنْ أبي هُريرة رضي الله عنه قال: منْ صلَّى صلاةً لمْ يقرأْ فيها بأُمِّ القرآن فهي خداجٌ، ثلاثاً غيْرُ تمامٍ. فقيل لأبي هُريْرة: إنَّا نكونُ وراء الإمام. فقال: اقرأْ بها في نفسك، فإنِّي سمعْتُ رسُول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: قال الله تعالى: قسمْتُ الصَّلاة بيْني وبيْن عبْدي نصْفيْن، ولعبْدي ما سأل، فإذا قال العبْدُ: (الحمْدُ لله ربِّ العالمين) قال الله تعالى: حمدني عبْدي. وإذا قال: (الرَّحْمن الرَّحيم) قال الله تعالى: أثْنى عليَّ عبْدي. وإذا قال: (مالك يوْم الدِّين) قال: مجَّدني عبْدي. وقال مرَّةً فوَّض إليَّ عبْدي. فإذا قال: (إيَّاك نعْبُدُ وإيَّاك نسْتعينُ) قال هذا بيْني وبيْن عبْدي ولعبْدي ما سأل فإذا قال: (اهْدنا الصِّراط المُسْتقيم صراط الَّذين أنْعمْت عليْهمْ غيْر المغْضُوب عليْهمْ ولا الضَّالين) قال: هذا لعبْدي ولعبْدي ما سأل. (مسلم حديث ٣٩٥).

### (١١) الصلاة توحيد وتعظيم لله تعالى

قال الإمامُ المرْوزيُّ (رحمهُ الله): لا عمل بعْد توْحيد الله أفْضل من الصَّلاة لله، لأنَّهُ افتتحها بالتَّوْحيد والتَّعْظيم لله بالتَّكْبير، ثمَّ الثَّناء على

اللّه، وهي قـراءة فاتحة الكتاب، وهي حمْد لله وثناء عليه، وتمْجيد له ودعـاء، وكذلك التّسْبيح في الرّكوع والسّجود والتّكبيرات عند كل خفض ورفع، كل ذلك توحيد لله وتعظيم له، وختمها بالشهادة له بالتّوحيد، ولرسوله بالرّسالة، وركوعها وسجودها خشوعًا له وتواضعًا، ورفْع اليدين عند الافتتاح والرّكوع، ورفْع الرّأس تعْظيمًا لله وإجـلالا له، ووضع اليمين على الشمال بالانتصاب لله تذللا له، وإذعـانـا بالعبوديّة. (تعظيم قدر الصلاة- للمروزي- ج١- ص٢٦٨).

### (١٢) ثناء الله على الخاشعين في الصلاة

مما يـدل على المنزلـة العالية للصلاة في الإسلام أن الله سُبْحانه وتعالى عندما مدح عباده المؤمنين، بدأ بذكر الصّلاة قبل أي عمل آخر.

قال سُبْحانه وتعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) (المؤمنون: ١ : ٢).

ثم ذكر سُبْحانه باقي الأعمال وختمها بذكر المحافظة على الصلاة. فقال جل شأنه: ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) (المؤمنون: ٩ : ١١).

وقـال سُبْحانه مادحًا أهل الصلاة: (إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ) (المعارج: ١٩ : ٢٣).

### (١٣) تحذير للمسلم الذي يتهاون بالصلاة

منْزلة الصّلاة عظيمة، ويدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة المباركة من التحذير الشديد من إضاعة الصلاة والتهاون في أدائها. قال الله سُبْحانه وتعالى: ( فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) (مريم: ٥٩).

وعنْ عُمر بْن عبْد العزيز (رحمه الله) قال: لم يكنْ إضاعتهمْ تركها، ولكنْ أضاعوا المواقيت، (تفسير الطبري ج ١٦ ص ٩٨)، قـال الله سُبْحانه وتعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ) (الماعون: ٤ : ٦).

### (١٤) الاستعانة بالصلاة في أمور الدنيا والأخرة

قال الإمام المروزيّ (رحمه الله): أمر الله عباده أنْ يفْزعوا إلى الصّلاة، والاسْتعانة بالصّلاة على كل أمْرهمْ منْ أمْر دنْياهمْ وآخرتهمْ، ولمْ يخصّ بالاسْتعانة بها شيْئًا دون شيْء، فقال: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ) (البقرة: ٤٥) (تعظيم قدر الصلاة- للمروزي ج١ ص٢١٨).

عنْ حُذيْفة بْن اليمان رضى الله عنه، قال: كـان رسُـول الله صلى الله عليه وسلم، إذا حزبه أمْرٌ صلى. (صحيح أبي داود للألباني- حديث١١٧١).

### (١٥) الصلاة تميز بين المؤمنين والمنافقين في الدنيا والآخرة

أمّا في الدنيا فإن الصلاة ثقيلة على المنافقين. قـال سُبْحانه: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ) (النساء: ١٤٢).

عنْ أبي هُريْرة رضى الله عنه قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: ليْس صلاة أثْقل على المنافقين منْ الفجْر والعشاء ولـو يعْلمون ما فيهما لأتـوْهـمـا ولـو حبْـوًا. (البخاري حديث٦٥٧، ومسلم حديث ٢٥٢).

وأمّا في الآخرة فإنّ المنافقين لا يستطيعون السجود إذا أمروا بذلك.

قال تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ) (القلم: ٤٢ : ٤٣).

### (١٦) النار لا تحرق آثار السجود

عنْ أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا فرغ الله منْ القضاء بيْن العباد وأراد أنْ يخْرج برحْمته منْ أراد منْ أهْل النّار أمر الملائكة أنْ يخْرجوا منْ النّار منْ كان لا يشْرك بالله شيْئًا ممّنْ أراد الله أنْ يرْحمه ممّنْ يشْهد أنْ لا إله إلا الله فيعْرفونهمْ في النّار بأثر السُّجود تأْكل النّار ابْن آدم إلا أثر السُّجود حرّم الله على النّار أنْ تأْكل أثر السُّجود فيخْرجون منْ النّار قدْ امْتحشوا (احْترقوا) فيُصبّ عليْهمْ ماءُ الْحياة فينْبُتون تحْته كما تنْبُت الْحبّة في حميل السّيْل. (البـخـاري حديث ٧٤٣٧، ومسلم حديث ١٨٢).

وآخر دعوانا أن الحمْد لله ربّ العالمين.

# كلمات في المنهج (٢)

## القواعد المنهجية والأصول الشرعية

إعداد **اللجنة العلمية بالمجلة**

### القاعدة الثانية: حتمية الرجوع إلى الكتاب والسنة وأنهما طريق النجاة الأوحد

**الشيخ صفوت الشوادي رحمه الله**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ألا فلتعلم الدنيا بأسرها الداني والقاصي والحجر والمدر والشمس والقمر أن الرجوع إلى الكتاب والسنة ليس نفلاً ولا تطوعًا، وإنما فرض عيني وواجب حتمي شرعي ولازم من لوازم الإيمان مع البراءة من كل منهج يعتمد سواهما قال تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ» (الحشر:٧)، وقال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (سورة النساء:٦٥).

وليعلموا كذلك أنه هو المنهاج الرباني الأوحد المحفوظ من كل تغيير أو تبديل أو تحريف؛ كما قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر: ٩) خلافًا لغيره من المناهج والأديان.

وليعلموا أنهما لكل مناحي الحياة كما قال تعالى عن القرآن: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» (النحل: ٨٩)، وأنهما اشتملا على كل ما يحتاج الناس في معاشهم ومعادهم؛ علمًا وعملاً، عقيدةً وشريعةً دنيا وآخرة، خلافًا لمن ظن قصورهما.

وليعلموا أن مدار السعادة في الدنيا والآخرة قائم على الالتزام بهما والاعتصام بحبلهما، وأن الإعراض عنهما هو عين الضنك والخسران دنيا وآخرة؛ كما قال عز وجل: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ» (طه: ١٢٣-١٢٦)، وقال تعالى: (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة: ١٥-١٦).

ثم ليعلم الجميع أنه لا خلاص لهذه الأمة من هذا الواقع الذي تحياه، لتعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس، إلا بأن تجعل الكتاب والسنة سبيلا نجاتها، وحبلا خلاصها، وهاديها من حيرتها، ومنقذها من رقدتها، به تحيا، وفي ضوئه تسير، وعلى منهاجه تموت. وإذ لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، بل ولن يصلح العالم بأسره إلا بهما (أي: بالقرآن والسُّنة)؛ روى ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: "تركتُ فيكم أيُها الناس، ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه" (رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الترغيب: ٤٠).

وختامًا: أتمنى على الله وأرجو من إخواني أن يكونوا سفراء خير وواجهة شرف لعرض ديننا على من يجهله، ولتكن قاعدة بهذه الأهمية والحتمية حين تُعرَض؛ تُعرَض على الوجه اللائق بها، والوجه اللائق بها هو أنها سبب سعادة وإكسير حياة، وأن الإنسان لو خُيِّر بينها وبين الماء والهواء لكانت هي الأولى بلا نقاش؛ إذ الماء والهواء سبب للحياة الدنيا، والقرآن والسنة سبب للدنيا والآخرة. وأستغفر الله لي ولكم.

الحلقة 4

# غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد؛ فما زلنا في الطريق إلى موطن العزة والشرف؛ إلى غزوة بدر الكبرى وما فيها من الدروس والعبر، وقد انتهينا في العدد السابق إلى مبيت المسلمين ليلة بدر وذكرنا: أن الله تعالى أمنهم بالنوم وطهرهم بالمطر. وأما النبي صلى الله عليه وسلم: فبات قائمًا يصلي كما في حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: "وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَاتَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ" مسند أحمد (١٠٢٣).

وهنا يبدو لنا أمر آخر قبل الوصول إلى أرض المعركة؛ حيث نقف وقفة مع التصوير القرآني لكل من الفئتين في عين الأخرى وحاصله ثلاثة أحوال:

**الأولى:** منام يزف بشرى وطمأنة للمسلمين

قال الله تعالى: "إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (الأنفال: ٤٣)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَنَامِه تِلْكَ اللَّيْلَةَ؛ فَرَآهُمْ رَسُول الله فِي نومه أقَلَّ مِمَّا كَانُوا. البداية والنهاية (٥/ ٨٥).

وقال الطبري: أي: يُرِيكَهُمْ فِي نَوْمِكَ قليلاً فَتُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ، حَتَّى قَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَاجْتَرَءُوا عَلَى حَرْبِ عَدُوِّهِمْ. وَلَوْ أَرَاكَ رَبُّكَ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلَ أَصْحَابُكَ؛ فَجَبُنُوا وَخَافُوا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حَرْبِ الْقَوْمِ، وَلَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَرَاكَ فِي مَنَامِكَ مِنَ الرُّؤْيَا...اهـ

وعلى إثر هذه الرؤيا أشرقت في وجوه الصحابة شمس جديدة، ويوم جديد؛ فتنفسوا هواءً منعشًا؛ وصباحًا طريًا بالصلاة والمطر، الأرض أمامهم ساكنة ملبدة لا غبار فيها، والأجواء تملأ صدور المؤمنين حماسًا وثقة بالله ووعده...

**الحال الثاني:** تقليل كلا الفريقين في عين الآخر عند بداية التقاء الصفين:

قال تعالى: "وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" (الأنفال: ٤٤)؛ قال القرطبي: كَانَ هَذَا فِي ابْتِدَاءِ الْقِتَالِ... تفسير القرطبي (٨/ ٢٣).

قال ابن كثير: وَقَوْلُه " وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قليلاً " وَهَذَا أَيْضًا مِنْ لُطْفِه تَعَالَى بِهِمْ إِذْ أَرَاهُمْ إِيَّاهُمْ قليلاً فِي رَأْيِ الْعَيْنِ فَيُجَرِّئُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيُطَمِّعُهُمْ فِيهِمْ... وَقَوْله "وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّه أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً " أَيْ: لِيُلْقِيَ بَيْنَهُمْ الْحَرْب لِلنِّقْمَة مِمَّنْ أَرَادَ الانْتِقَام مِنْهُ، وَالْإِنْعَام عَلَى مَنْ أَرَادَ تَمَام النِّعْمَة عَلَيْه مِنْ أَهْل وِلَايَته وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهُ تَعَالَى أَغْرَى كُلًّا مِنْ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخَرِ وَقَلَّلَهُ

في عَينه لِيَطْمَعَ فِيه، وَذَلِكَ عِنْد الْمُوَاجَهَة. تفسير ابن كثير (٤/ ٦١).

**الحال الثالث:** أثناء المعركة؛ حيث كثر الله المؤمنين في عين الكافرين بنزول الملائكة معهم ليلقي الرعب في قلوب الكافرين، وذلك في قوله تعالى: " قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ " (آل عمران: ١٣).

وقد ذكر ابن كثير في قوله: وأصح الأقوال في ذلك إن شاء الله: أن الله أبقى المؤمنين على ما هم عليه من الكثرة في أعين الكافرين وقلل الكافرين في أعين المؤمنين قال ابن كثير: فَلَمَّا الْتَحَمَ الْقِتَال وَأَيَّدَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ بِأَلْف مِنْ الْمَلَائِكَة مُرْدِفِينَ بَقِيَ حِزْب الْكُفَّار يَرَى حِزْب الْإِيمَان ضِعْفَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَة فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَة تُقَاتِل فِي سَبِيل اللَّه وَأُخْرَى كَافِرَة يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْي الْعَيْن وَاَللَّه يُؤَيِّد بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَار " وَهَذَا هُوَ الْجَمْع بَيْن هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا حَقٌّ وَصِدْقٌ وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة. (تفسير ابن كثير ٤/ ٦١).

وقال أيضا: فَعِنْدَمَا تَقَابَلَ الْفَرِيقَانِ، قَلَّلَ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمَا فِي أَعْيُنِ الْآخَرِينَ، لِيَجْتَرِئَ هَؤُلَاءِ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ عَلَى هَؤُلَاءِ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَلَيْسَ هَذَا مُعَارِضًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ " آلِ عِمْرَانَ " « قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ » (آل عمران: ١٣)؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ، عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ؛ أَنَّ الْفِرْقَةَ الْكَافِرَةَ تَرَى الْفِرْقَةَ الْمُؤْمِنَةَ مِثْلَيْ عَدَدِ الْكَافِرَةِ، عَلَى الصَّحِيحِ -أَيْضًا-، وَذَلِكَ عِنْدَ الْتِحَامِ الْحَرْبِ، وَالْمُسَايَفَةِ أَوْقَعَ اللَّهُ الْوَهَنَ وَالرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَاسْتَدْرَجَهُمْ أَوَّلًا بِأَنْ أَرَاهُمْ إِيَّاهُمْ عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ قَلِيلًا، ثُمَّ أَيَّدَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِهِ؛ فَجَعَلَهُمْ فِي أَعْيُنِ الْكَافِرِينَ عَلَى الضِّعْفِ مِنْهُمْ، حَتَّى وَهَنُوا وَضَعُفُوا وَغُلِبُوا، وَلِهَذَا قَالَ: «وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ » (آل عمران: ١٣). البداية والنهاية (٥/ ٨٥).

وهذا ما قرره القرطبي في تفسير سورة الأنفال حيث قال: "وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ" كَانَ هَذَا فِي ابْتِدَاءِ الْقِتَالِ فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الْقِتَالِ عَظُمَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَعْيُنِهِمْ؛ فَكَثُرُوا، كَمَا قَالَ: "يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ" تفسير القرطبي (٨/ ٢٣).

فائدة: قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب: "تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ" والباقون بالياء، والجمهور من الناس على أن الفاعل بترون هم المؤمنون، والضمير المتصل هو للكفار، وعلى هذا يكون المسلمون يرون الكفار ضعفيهم ومن الحكمة في ذلك أن يجأر المسلمون في الدعاء والابتهال وأيضًا حتى يستجمعوا قوتهم ولا يستهينوا بهم؛ ففي مرحلة الإعداد يرونهم كثرة؛ فيستعدون، وفي ساحة القتال يرونهم قلة؛ فتقوى قلوبهم وهذا في بعض الأحوال كما سبق بيانه.

وعلى فرض أنه عام فهو لا يتعارض مع آية الأنفال؛ لأنها تثبت تقليل الكافرين وهذه تثبت: أنهم مثليهم وقد كانوا ثلاثة أضعاف المسلمين؛ فإذا رأوهم مثليهم؛ فقد قللوا في أعينهم؛ قال القرطبي: أعلمنا الله: أنه قللهم في أعين المؤمنين؛ فيكون المعنى: ترون أيها المؤمنون المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلاثة أمثالهم؛ فقلل الله المشركين في أعين المسلمين؛ فأراهم إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم، ويقع التجاسر، وقد كانوا أعلموا: أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار، وقلل المسلمين في أعين المشركين ليجترءوا عليهم - في بعض الأحوال- فينفذ حكم الله فيهم" (الرياض الناضرة في توجيه القراءات المتواترة (١٣٦) وتفسير القرطبي (٤/ ٢٥).

### خطر التهويل الإعلامي لقوة الأعداء

وهذا يبين لك خطر التهويل الإعلامي لجيوش العدو في عصرنا الحاضر وهو ما يسمى بالحرب الباردة؛ لأن بيننا أناسًا قد أدمنوا التهويل من قوة الأعداء مما يبث الوهن والضعف في قلوب المسلمين ليس فقط في مجال الحرب والقتال بل تخطى ذلك إلى البحث العلمي والتطوير والاختراع بل وحتى مسابقات اللعب-لأنهم يعظمون شأنها- يظهرون في ذلك كله قوة العدو، وضعف المسلمين وتأخرهم ليس على سبيل حث المسلمين على التغيير من أوضاعهم بل لأجل بث الوهن في قلوبهم واشعال اليأس في نفوسهم؛ قال الشنقيطي: وَمِنْ ذِكْرِ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ مِنْ

رُعْبِ الْقُلُوبِ، وَأَسْبَابِ النَّصْرِ مِنَ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، تَعْلَمُ مَدَى تَأْثِيرِ الدِّعَايَاتِ فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ، وَمَا سُمِّيَ بِالْحَرْبِ الْبَارِدَةِ مِنْ كَلَامٍ وَإِرْجَافٍ مِمَّا يَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنْهُ أَشَدَّ الْحَذَرِ، وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً"...كَمَا بَيَّنَ تَعَالَى أَثَرَ الدِّعَايَةِ الْحَسَنَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ"... وَمَا أَجْرَاهُ اللَّهُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَمَلِيٍّ، إِذْ يُقَلِّلُ كُلَّ فَرِيقٍ فِي أَعْيُنِ الْآخَرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: "إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ...الخ الآيات"، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَنْبَغِي الِاسْتِفَادَةُ مِنْهُ الْيَوْمَ عَلَى الْعَدُوِّ فِي قَضِيَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. (أضواء البيان ٨/ ٢٢).

ولا شك أن الثقة والقوة المعنوية لا تقل شأنًا عن قوة السلاح وكثرة العدد في أرض المعركة؛ فلما تحقق في نفوس المسلمين كان من أظهر الأسباب في تحقيق النصر.

### عودة إلى الجيش وتنظيم الصفوف:

قال ابن كثير: وَقَدْ صَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ وعباهم أحسن تعبية.

وراجع سنن الترمذي (١٦٧٧)، ومسند البزار (٩٩٨). يقال: عبأت الجيش تعبئة؛ أي: "رتبتهم في مواضعهم، وهيأتهم للحرب". النهاية (١٦٨/٣).

### عظمة القائد ومحبة الجنود له صلى الله عليه وسلم

وأسند ابْنُ إِسْحَاقَ: أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ - متقدم أو خارج من الصف- مِنَ الصَّفِّ؛ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ وَقَالَ: " اسْتَوِ يَا سَوَادُ "؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي! وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَأَقِدْنِي!! فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ؛ فَقَالَ: اسْتَقِدْ. قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ؛ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ. (ابن هشام (٢٦٦/٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٨٣٥)، وانظر: الروض الأنف (٨٣/٥).

وعلى كلٍ فإن قصته توضح نموذج التعليم الإسلامي في العدل؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم استعد حتى يقتص منه أحد من أمته، وقدم له جسده الشريف، تلك هي العدالة الحقيقية.

ومن فوائده:

- حرص الإسلام على النظام.
- العدل المطلق؛ فمع أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ظالمًا لسواد إلا أنه سمح له بأخذ ما يظنه حقًا تطييبًا لخاطره وبيانًا لقمّة العدل والإحسان.
- حب الجندي لقائده.
- تذكر الموت والشهادة.
- جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبارك، ومسه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.
- البطن ليس بعورة بدليل: أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عنه، ويحمل على ما عليه الجمهور؛ أي: ما فوق السرة، أي: كشف له ما فوقها.
- تواضع القائد مع جنده، وهي صفة من صفات الجيش المنصور.
- اتصاف القائد بالرأفة والاهتمام بأصحابه وعمل ما يصلح حالهم في الدين والدنيا، وأن يتولى أمرهم بنفسه - قدر الاستطاعة- محبة وشفقة. (النبي القائد (٧٧/ ٢)، وغزوة بدر الكبرى دروس وعبر: ٧٢).

هذا عن حال المسلمين؛ فماذا عن جيش المشركين قبل المعركة؟ وما هي صفة خروجهم؟ هذا ما تناوله في العدد القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

# الأمرُ بلزومِ الجَمَاعَة

إعداد **الشيخ: معاوية محمد هيكل**

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... أما بعدُ:

فعن حذيفةَ بن اليمانِ رضي الله عنه قال: كان الناسُ يسألون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشر مخافةَ أن يُدركني.

فقلتُ: يا رسول الله! إنا كنَّا في جاهليةٍ وشر؛ فجاءنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد هذا الخير مِن شر؟

قال: نعم.

قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ من خير؟

قال: نعم، وفيه دَخَنٌ.

قلتُ وما دخنُه؟

قال: قومٌ يَهدونَ بغير هَديي، تَعرفُ منهم وتُنكر.

قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم، دعاةٌ إلى أبوابَ جهنم، مَن أجابَهم إليها قَذفوه فيها.

قلتُ: يا رسول الله! صفْهم لنا؟

فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمونَ بألسنتنا.

قلتُ: فما تأمرنَي إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرَقَ كلها، ولو أن تَعضَّ بأصلِ شجرة، حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك. (صحيح البخاري ٣٦٠٦).

## منزلة الحديث وأهميته:

هذا الحديث من الأحاديث العظمية التي ترسم سبيلَ النجاة من أشد الفتن، وأخطرها على دِين المسلم، وبخاصة في أيامنا هذه...

قال الألباني -رحمه الله-: «هذا حديث عظيم الشأن من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ونصحه لأمته، ما أحوج المسلمين إليه للخلاص من الفرقة والحزبية التي فرقت جمعهم وشتتت شملهم، وأذهبت شوكتهم، فكان ذلك من أسباب تمكن العدو منهم، مصداق قوله تبارك وتعالى: (ولا تَنازعُوا فتفشَلُوا وتَذهبَ ريحُكم) (السلسلة الصحيحة: ٥٤١/٦).

## ومن فوائد هذا الحديث:

(١) فيه حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير؛ فإنهم مُذْ عَرفوا هذا الدينَ العظيم وهم يَسألون عن الخير سُؤالَ مُتعلم مُسترشد، طالبِ للعلم والعملِ جميعًا.. فرضي اللهَ عنهم وأرضَاهم.

(٢) فيه فضيلةَ لحذيفةَ رضي الله عنه؛ حيثُ كان حريصًا على النجاةِ؛ التي لا تكونُ إلا بمعرفة الخير

واتباعه، ومعرفة الشر واجتنابه... وبهذا بعث الله أنبياءه ورُسله.

قال صلى الله عليه وسلم: إنه لم يكن نبيٌّ قبلي؛ إلا كان حقًا عليه أن يَدلَّ أمته على خير ما يعلمُه لهم، ويُنذرَهم شرَّ ما يعلمُه لهم... الحديث. (صحيح مسلم ١٨٤٤).

وخيرُ ما دلّنا عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم التوحيدُ؛ فهو لبُّ الدين وأساسُه، وهو الشرطُ اللازم في كل عمل؛ فلا ترفع ولا تقبل طاعةٌ إلا به.. ثمَّ بعدَ ذلك تأتي واجبات الدين فالمستحبات..

وشرُّ ما أنذرنا عنه الشركُ؛ فإنه أعظمُ الذنوب؛ وهو الذنبُ الوحيدُ الذي لا يَغفره الله، ولَا تَنفعُ معه جميع الطّاعات والقُربات، فالجنةُ على أهله حرامٌ؛ والنارُ لهم دارٌ وقرار.. فنعوذُ بالله منها ومن أهلها.. ثم بعد ذلك تأتي المحرَّمات من البدع والمعاصي؛ فالمكروهات..

(٣) فيه أن عدم معرفة الشر مظنةُ الوقوع فيه؛ فلا تكفي معرفة الخير في الوقاية من الشرور! قال الفاروق عمر رضي الله عنه: إنما تنقضُ عُرى الإسلام عُروة عُروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يَعرف الجاهلية. (منهاج السنة ٢/٣٩٨).

ومنه قول الشاعر:

عرفتُ الشر لا للشرِّ لكن لتوقّيه
ومَن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه!

(٤) فيه أن معرفةَ ما ينفعُ وما يضر في الدين لا يكون إلا من طريق الوحي وحملته؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الخير والشر.

فالواجب على المسلم الذي يَنشدُ بلوغ الخيرات والحسنات، ويبتغي النجاةَ من الفتن المضلات المهلكات... أن يلزم طريق الوحي الإلهي؛ المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة؛ ولا سبيل له إلى ذلك- على التحقيق- إلا من طريق ورثة الأنبياء، وهم العلماء الربانيون؛ الذين أمر الله الناسَ بالرجوع إليهم فقال: «فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لا تعلمون» الأنبياء:٧.

(٥) فيه الاعترافُ بعظيم نعمة الله جل وعلا؛ فقد كانت العربُ في جاهلية وشر، يعبدون الأوثان والأصنام، ويتنازعون فيما بينهم؛ فيعتدي القويُّ على الضعيف... فامتنَّ الله عليهم بالإسلام؛ فتحوَّلوا من ذل عبوديةِ غير الله إلى عزِّ عبادة الله وحده، ومن الغل والبُغض والحسد فيما بينهم.. إلى أن صاروا إخوانًا مُتحابين متآلفين..

قال تعالى: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها».

### التحذير من خطورة وصف المجتمعات الإسلامية بالمجتمعات الجاهلية

وهذا أمر مهم يجب التنبه والتفطن له، بل هو في غاية الأهمية والخطورة؛ فقد وُجدَ في عصرنا من الكتاب من يصف المجتمعات الإسلامية قاطبة بوصف الجاهلية وهذا أمر مردود وباطل، لماذا؟ لأنه يحمل بين سطوره دعوى تكفير هذه المجتمعات المسلمة، وهذا أمر ينكره أصحاب المَنهج القويم والفطر السليمة، وهذه الدعوى الباطلة للأسف قد تلقفها وفرح بها خوارج العصر، وجماعات التكفير الذين كفروا المجتمعات المسلمة بدعوى أنها مجتمعات جاهليه، فهجروا «المساجد»، وتركوا الصلوات فيها، وكفروا الناس واعتدوا على الحرمات تبعاً لذلك. فليتنبه المسلمون لهذا الخطر المدمر، وذلك المنهج المنحرف الذي كان بمثابة الجسر الذي عبرت عليه هذه الأفكار الضالة والمنحرفة إلى عقول كثير من شباب المسلمين مما كان له الأثر البالغ في انتشار جماعات التكفير في عصرنا.

(٦) فيه أن الباطل لا يَظهر في صورة الباطل المحض دائمًا؛ وإنما يُزينه أهلُه بشيء من الحقِّ تَضليلاً منهم، وغشا للمسلمين.

(٧) فيه بيان خطر مَن يتصدَّر للناس على أنهم دُعاة، وليسَ لَدعوتهم طريق إلا إلى جهنم! فحذار أن تسلم دينك إلا لمن تَقبل أن يكونَ حجة بينك وبين خَالقك!

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنما أخافُ على أمتي الأئمة المُضلين» (صحيح الجامع ٢٣١٦). وقال صلى الله عليه وسلم: «يكونُ في آخر الزمان دجّالون كذّابون، يأتونكم

من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم، لا يُضلونكم، ولا يفتنونكم». (صحيح مسلم ٧).

(٨) فيه حرصُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على تحذير أمته من الفتن والشرور التي ستكون من بعده ابتلاء للناس وامتحانًا لهم؛ وهذا فيه كمال النصح، وغاية الشفَقة... وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في التحذير من الشر وأهله إجمالا وتفصيلا: فأما التحذير المجمل؛ ففي مثل قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ» (التحريم:٦) وقول النبي عليه الصلاة والسلام: وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ بدعة ضلالة. (صحيح مسلم ٨٦٧).

وأما التحذير المفصَّل؛ فقد تنوعتْ النصوص فيه؛ لتشمل أبواب الشرِّ وطرائقه..

فقال تعالى عن رأس الشرِّ ومَكمَنه: « إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ » (فاطر: ٦)، بل حذر من مداخله الماكرة فقال: «وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ » (البقرة: ١٦٨)، وحذَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم من أصحاب العقائد المنحرفة الخبيثة، نفاة العلم الإلهي؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «القدريةُ مَجوس هذه الأمة». (صحيح سنن أبي داود ٤٦٩١).

وكذلك حذَّر من سَفكة الدماء المعصومة، شرِّ هذه الأمة؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «الخوارج كلابَ النار». (صحيح الجامع: ٣٣٤٧).

(٩) فيه الإشارة إلى أن معرفة المنكر وإنكاره واجبٌ على حسَب القدرة، وأن ذلك هو سبيلِ النجاة.. قال صلى الله عليه وسلم: إنه يُستعمل عليكم أمراءً، فتعرفون وتُنكرون؛ فمَن كره فقد بَرئ، ومَن أنكر فقد سلم، ولكن مَن رَضي وتابع. (صحيح مسلم: ١٨٥٤).

قال الحافظ ابنِ حجر رحمه الله: «فيه وجوبُ ردُّ الباطل، وكلِّ ما خالفَ الهديَ النبويَّ، ولو قالَه مَن قاله من رفيعٍ أو وضيع». (فتح الباري ٣٧/١٣).

(١٠) فيه معجزةٌ ظاهرة، ودليلٌ من دلائل النبوة؛ فقد وقع ما ذُكر في هذا الحديث كما جاء مُرتَّبًا. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال عياض: المراد بالشر الأول: الفتن التي وقعتْ بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده: ما وقع في خلافة عمرِ بن عبد العزيز، والمراد بالذين تَعرف منهم وتُنكر: الأمراء بعده؛ فكان فيهم مَن يَتمسك بالسنة والعدل، وفيهم مَن يدعو إلى البدعة، ويعمل بالجور.

قلت (الحافظ): والذي يظهر أن المراد بالشر الأول: ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير: ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدَّخَن: ما كان في زمنهما من بعضِ الأمراء، كزياد بالعِراق، وخلاف مَن خالفَ عليه من الخوارج، وبِالدُّعاة علَى أبواب جهنم: مَن قام في طلب المُلك من الخوارج وغيرهم. (فتح الباري ٣٦/١٣).

(١١) فيه الأمر بلزوم الجماعة وأنها سبيل النجاة من الفتن.

### فما المقصود بالجماعة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: «الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين»(مجموع الفتاوى: ١٥٧/٣). وقد تعددت أقوال السلف والعلماء في تحديد ذلك المعنى المأخوذ من دلالات نصوص الشريعة على أقوال (انظر الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٦٠).

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

والثاني: جماعة أئمة العلماء والمجتهدين.

والثالث: الصحابة -رضوان الله عليهم- على وجه الخصوص.

والرابع: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر.

والخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

«ومن أمعن النظر في تلك الأقوال يجد أن أغلبها من اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد؛ فكل صاحب قول فسر الجماعة ببعضِ معناها، أو بفرد من أفراد مدلولها، تمثيلاً لا حصراً وإحاطة، «وهذه عادة معروفة للسلف في تفسير الألفاظ»(الصواعق المرسلة ٦٩٩/٢).

الحق لا يُعرف بالرجال:

فإنه لا يُستدل على الحق بكثرة أهله، فأهل الحق هم الجماعة وإن كانوا أقل عددا فالحق لا يعرف بالرجال.

قال الفضيل رحمه الله: «عليك بطريق الهدى وإن قل السالكون، واجتنب طريق الردى وإن كثر الهالكون» (الاعتصام ٨٣/١، المجموع للنووي

٢٧٥/٨).

بل قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق؛ ولو كنت وحدك» (رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٢٢/١- رقم١٦٠).

وقال نعيم بن حماد: «إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ» (الباعث على إنكار البدع: ص٢٢).

وقال سفيان الثوري «لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة» (شرح السنة ٢٧٩).

وقال التِّرمذيُّ: « وتفسير «الجماعة» عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث.

سُئلَ ابنُ المبارك: مَن الجماعة؟

فقَال: أبو بكر وعمر.

قيلَ لهُ: قد مَات أبو بكر وعمر.

قالَ: فلان وفلان.

قيلَ لهُ: قد مات فلان وفلان.

فقالَ: أبو حمزة السُكري جماعة.

قالَ التِّرمذيُّ: «وأبو حمزة هو: مُحمَّد بن ميمون، كان شيخا صالحا».

(رواهُ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٣ / ٣٢٢)).اهـ.

(١٢) فيه أن الدعاةَ على أبواب جهنم لا يلزمون جماعة المسلمين وإمامهم؛ فيكونُ الآمرونَ بلزوم الجماعة والإمام دُعاة إلى أبواب الجنان.. فتأمل

ما هو ضابط الحكم على تجمع معين أنه من «الفرق الضالة»:

توهم البعض أن الدعوات المعاصرة الموجودة على الساحة في زماننا على اختلاف أسمائها من جملة «الفرق الضالة النارية»، وأن قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن أهلَ الكِتابَيْنِ افترقوا في دينهم على ثنتَين وسبعينَ ملَّةً، وإنَّ هذه الأمَّةَ ستَفترِقُ على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً- يعنَي الأهْواءَ- كلُّها في النَّارِ إلَّا واحدةً، وَهيَ الجماعةُ» (رواه أبو داود (٤٥٩٧) وصححه الألباني)، وفي صحيح الترمذي (٢٦٤١) (قالوا: وَمَنْ هيَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: مَا أنَا عَلَيْه وَأَصْحَابي) ينطبق على هذه الدعوات، وهذا خطأ، فالدعوات المعاصرة متفاوتة فيما بينها قربا وبعدا من مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم، ولذلك لا يجوز التعميم.

وقد بيَّن الشاطبي- رحمه الله- ضابط الحكم على تجمع معين أنه «من الفرق الضالة» فقال: «وذلك أن هذه الفرق إنما تعد فرقا بخلافها «للفرقة الناجية» في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرعي الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، إلى قوله، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة» (الاعتصام: ٢٠٠/٢).

(١٣) فيه أن العُزلةَ إذا فُقد الإمام، وافترق المسلمون... هي سبيل النجاة؛ ولذلك بالغ في الأمر بها فقال: «فاعتزل تلك الفرَقَ كلها، ولو أن تَعضَّ بأصل شجرة، حتى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك»، قال البيضاوي: المعنى: إذا لم يكن في الأرض خليفة؛ فعليك بالعزلة، والصبر على تحمل شدة الزمان، وعضُ أصلِ الشجرة: كِناية عن مكابدة المشقَّة، كقولهم: فلانٌ يعضُ الحجارةَ منَ شدَّة الألم. (فتح الباري: ٣٦/١٣).

(١٤) فيه الرد على كلِّ مَن اتخذ طريقًا غير طريق النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ سواء كان ذلك في باب الاعتقاد أو العبادة أو المعاملة والسلوك... فإن طريقَ الهداية الموصل إلى الله سبحانه وتعالى واحدٌ فقط؛ وهو هَدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم وطريقته، وأما هديُ غيره وطريقة غيره.. فهي من سُبل الشيطان وجنوده..

قالَ ابن مسعود رضي الله عنه: خطَّ لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: هذا سبيلُ الله، ثم خطَّ خطوطًا عنْ يَمينه وعن شماله وقَال: هذه سُبلٌ، على كل سبيلٍ منها شَيطانٌ يَدعو إليه، ثم قرأ: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (الأنعام: ١٥٣). (صحيح المشكاة: ١٦٦).

والحمد لله رب العالمين.

## نظرات في زواج التحليل (٤)

# حكم زواج التحليل

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه،

وبعد: فهذه هي المقالة الرابعة والأخيرة في حكم زواج التحليل.

وقد سبق في المقالة الثالثة بيان مسألتين:

الأولى: نقل إجماع الصحابة على بطلان زواج التحليل بجميع صوره، قال ابن تيمية في مختصر الفتاوى المصرية (ص ٤٢٤): «نكاح المحلّل حرام بإجماع الصحابة: عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم رضي الله عنهم».

الثانية: نقل الإجماع على بطلان التحليل في ثلاث صور، قال ابن قدامة في المغني (١٠ / ٤٩): «نكاح المحلل حرام باطل، في قول عامة أهل العلم؛ منهم: الحسن، والنخعي، وقتادة، ومالك، والليث، والثوري، وابن المبارك، والشافعي.

وسواء قال:

- زوجتُكها إلى أن تطأها.
- أو شرط أنه إذا أحلها فلا نكاح بينهما.
- أو أنه إذا أحلها للأول طلقها».

على أنه ينبغي ملاحظة أن من يصحح زواج التحليل في بعض صوره ينكر ثبوت الإجماعين، وأهم الصور المقصودة في نكاح التحليل قد سقناها في المقال السابق، وسأقتصر هنا منها على ثلاث صور اختصارًا، وهي:

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

### الصورة الأولى:

أن يشترط الزوج المحلل في صلب العقد على نفسه لفظًا مع أحد الزوجين أو ولي المرأة أنه إن دخل بالمرأة دخولاً صحيحًا أن يطلقها.

وقد اختلف أهل العلم في هذه الصورة على ثلاثة أقوال:

الأول: بطلان هذا العقد، وهو قول الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية، وهو قول أبي يوسف من الحنفية. [ينظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف، للقاضي عبد الوهاب (٢ / ٧٥٦)، والتوضيح في شرح المختصر، لخليل (٤ / ٤٢)، مواهب الجليل، للحطاب (٣ / ٤٦٩)، والأم، للشافعي (٥ / ٨٦)، والمهذب، للشيرازي (٢ / ٤٤٧)، وبحر المذهب، للروياني (٩ / ٣٢٤)، والمغني، لابن قدامة (٧ / ٥٧٤)، والشرح الكبير على متن المقنع، لأبي الفرج بن قدامة (١ / ٢١٨)، وبدائع الصنائع، للكاساني (٣ / ١٨٧).

وقد سبقت أدلة هذا القول في المقال الثالث، فارجع إليها.

الثاني: صحة العقد وبطلان الشرط، فإن طلقها -الذي شرط التحليل- بعدما وطئها حلت للأول لوجود الدخول في نكاح صحيح؛ إذ النكاح لا يبطل بالشرط، وإليه ذهب الحنفية، وهو أحد قولي القديم للشافعي، وهو رواية عن أحمد. [ينظر: مختصر القدوري (٩ / ٤٦٠٤)، والبناية (٥ / ٤٨٠)، العناية شرح الهداية، للبابرتي (٤ / ١٨٢)، والمهذب، للشيرازي (٢ / ٤٤٧)، وبحر المذهب، للروياني (٩ / ٣٢٤)، والإنصاف، للمرداوي (٢٠ / ٤٠٦)، والمحلى، لابن حزم (٩ / ٤٢٢)، التمهيد، لابن عبد البر (١٣ / ٢٣٣).

وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها:

١ - قوله تعالى: « فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ » (البقرة: ٢٣٠)؛ قال الكاساني في بدائع الصنائع (٣ / ١٨٨): «وعمومات النكاح تقتضي الجواز من غير فصل بين ما إذا شرط فيه الإحلال أو لا؛ فكان النكاح بهذا الشرط نكاحًا صحيحًا، فيدخل تحت قوله تعالى ﴾حتى تنكح زوجًا غيره﴿ فتنتهي الحرمة عند وجوده.

إلا أنه كره النكاح بهذا الشرط لغيره، وهو أنه شرط ينافي المقصود من النكاح، وهو السكن، والتوالد، والتعفف؛ لأن ذلك يقف على البقاء، والدوام على النكاح».

وهذا فيه كبير نظر؛ لأن القائلين بفساد النكاح لا يعتدون به نكاحًا شرعيًا أصلاً، وقد ورد لعن صاحبه، وتسميته تيسًا مستعارًا، وكذا لمخالفته مقاصد النكاح في الشريعة، فقصد المحلل المباشر لهذا النكاح الفراق والطلاق دون الإبقاء.

٢ - قوله: قوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله المحلل، والمحلل له».

ووجه الدلالة فيه عندهم: تسمية النبي صلى الله عليه وسلم له محللاً، قال البدر العيني في البناية (٥/ ٤٨١): «لما سمَّاه محللاً دلّ على صحة النكاح؛ لأن المحلل هو المثبت للحل، فلو كان فاسدًا لما سمَّاه محللاً».

وفي قولهم هذا نظر؛ فيقال: إنما سماه محللاً، وإن كان لم يحلل شرعًا؛ لأنه يعتقده ويطلب الحل منه، وطلب الحل من طريقه المشروع لا يستوجب اللعن.

الثالث: صحة العقد وبطلان الشرط، لكن لا يترتب عليه صحة رجوع المرأة إلى مُطلَّقها الذي بانت منه؛ لأنه استعجل ما أخَّره الشرع، وهو مذهب محمد بن الحسن من الحنفية. [ينظر: بدائع الصنائع، للكاساني (٣ / ١٨٧)، والعناية، للبابرتي (٤ / ١٨٢).

### الصورة الثانية:

أن يشترط الزوج المحلل قبل العقد على نفسه لفظًا مع أحد الزوجين أو ولي المرأة أنه إن دخل بالمرأة دخولاً صحيحًا أن يطلقها.

والفرق بين الصورة السابقة وهذه الصورة أن الصورة السابقة الشرط فيها في صلب العقد، وفي هذه الصورة الشرط سابق للعقد ولم يذكر في صلبه.

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

الأول: بطلان العقد، وهو مذهب المالكية، وصحيح مذهب الحنابلة؛ لأنه لا فرق بين مقارنة الشرط للعقد، وسبقه له عرفًا.

الثاني: صحة العقد وترتب آثاره عليه، وهو مذهب الحنفية، والشافعية، والظاهرية؛ لأن الشرط المتقدم على العقد غير مؤثر. [يُنظَر: المراجع السابقة بالإضافة إلى البيان في مذهب الإمام الشافعي، للعمراني (٩ / ٢٧٩)، وبحر المذهب، للروياني (٩ / ٣٢٥).

وقد استدلوا على ذلك بأدلة؛ منها:

١- عن ابن سيرين: «أن رجلاً من أهل المدينة طلق امرأته ثلاثًا، وندم وبلغ ذلك منه ما شاء الله. فقيل له: انظر رجلاً يحلها لك، وكان في المدينة رجل من أهل البادية له حسب أقحم إلى المدينة، وكان محتاجًا ليس له شيء يتوارى به إلا رقعتين: رقعة يواري بها فرجه، ورقعة يواري بها دبره، فأرسلوا إليه.

فقالوا له: هل لك أن نزوجك امرأة فتدخل عليها، فتكشف عنها خمارها ثم تطلقها، ونجعل لك على ذلك جُعلاً؟

قال: نعم.

فزوجوه فدخل عليها، وهو شاب صحيح الحسب، فلما دخل على المرأة فأصابها فأعجبها.

فقالت له: أعندك خبر؟

قال: نعم، هو حيث تحبين، جعله الله فداءها.

قالت: فانظر لا تطلقني بشيء، فإن عمر لن يكرهك على طلاقي.

فلما أصبح لم يكد أن يفتح الباب حتى كادوا أن يكسروه، فلما دخلوا عليه.

قالوا: طلق.

قال: الأمر إلى فلانة.

قال: فقالوا لها: قولي له أن يطلقك.

قالت: إني أكره ألا يزال يدخل عليَّ.

فارتفعوا إلى عمر بن الخطاب فأخبروه.

فقال له: إن طلقتها لأفعلن بك. [يعني: إن طلقتها.

ورفع يديه، وقال: اللهم أنت رزقت ذا الرقعتين إذ بخل عليه عمر». [أخرجه سعيد بن منصور (١٩٩٩)، وعبد الرزاق (١١٥٢٨)، والبيهقي في الكبرى (١٤١٩٧)، وفي المعرفة (١٤١٢٤).

والجواب: أنه حديث ضعيف، منقطع، لا حجة فيه على قولهم، قال ابن كثير في مسند الفاروق (١ / ٤٠٣): «قلت: وابن سيرين مع هذا لم يسمع من عمر».

٢- إن ما يسبق العقد حديث نفس، والشرع قد عفا عنه، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما لم تتكلم به أو تعمل به، وبما حدثت به أنفسها». [أخرجه البخاري (٢٥٢٨)، ومسلم (١٢٧).

والجواب أن ما يجري في النفس على خمس مراتب:

الأولى: الهاجس: وهو ما يُلقَى فيها.

الثانية: الخاطر: وهو ما يجري فيه.

الثالثة: حديث النفس: وهو ما يقع فيها من التردُّد هل يفعل أو لا؟

الرابعة: الهم: وهو ترجيح قصد الفعل.

الخامسة: العزم: وهو قوة ذلك القصد والجزم به. [ينظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص٣٣).

فأين حديث النفس من شرط قد اتفق عليه الطرفان قبل العقد، وعده الناس في عرفهم شرطًا.

### الصورة الثالثة:

أن يتزوج الزوج المحلل المرأة ليحلها لزوجها بدون اشتراط ولا تصريح، لكن يعلم من حاله وعلاقته بالزوجين أو أحدهما أنه يريد ذلك، فينزل الحال منزلة التواطؤ.

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

الأول: بطلان العقد، وهو مذهب المالكية، وصحيح مذهب الحنابلة؛ لأن المعروف كالمشروط.

الثاني: صحة العقد وترتب آثاره عليه، وهو مذهب الحنفية، والشافعية، والظاهرية. [ينظر: المراجع السابقة في المذاهب.

سبب الخلاف في المسألة:

مأخذ الخلاف في هذه المسألة يرجع إلى أصل مهم وهو اعتبار المقاصد في العقود، وقد اختلف أهل العلم في اعتبارها على قولين:

الأول: اعتبار مقاصد المكلفين في العقود، ولو خالفت الظاهر من القول أو العمل.

الثاني: عدم اعتبار مقاصد المكلفين في العقود، لو خالفت الظاهر من القول أو العمل أخذًا بالظاهر وإعمالاً له.

وقد اتفق أهل المذهبين على أصلين:

١- اعتبار المقاصد في صحة العبادات.

٢- أن المقاصد معتبرة في ترتيب الثواب والعقاب الأخروي.

فمن اعتبر المقاصد لصحة العقود قال:

إن تصرفات المكلفين القولية والعملية تُناط أحكامها الشرعية التي تترتب عليها بمقصده الذي يقصده منها، وليس بظاهر العمل أو القول، وهو مذهب المالكية والحنابلة، وهو ظاهر مذهب الصحابة، ولذا قالوا بعدم صحة العقود التالية: بيع العينة (أي البيع الصوري المتَّخذ وسيلة للربا)، وبيع العنب لعاصر الخمر، وبيع السلاح في الفتنة الداخلية، أو

لمن يقاتل به المسلمين، أو لقطاع الطريق المحاربين، ومثله بيع أدوات القمار، وبيع دار للدعارة، أو للقمار، وبيع الخشب لمن يتخذ منه آلات الملاهي، والإجارة على حمل الخمر لمن يشربها، ونحو ذلك، فهؤلاء قالوا: ببطلان زواج التحليل بجميع صوره اعتبارًا لقصد المحلل.

وتعليل ذلك: أن هذه العقود: إما عقود على معصية الله، أو عقود على وسيلة لمعصية ففيها إعانة عليها، وهذا يخالف قصد الشارع.

وقد قال الشاطبي في الموافقات (٣/٢٣): «قصد الشارع من المكلف: أن يكون قصده في العمل موافقًا لقصده في التشريع».

فلو أوقع المكلف سببًا للحكم الشرعي كنكاح التحليل الذي لعن فاعله ليحل مطلقة غيره التي بانت منه بينونة كبرى غير قاصد بزواجه المقاصد الشرعية، كان ما أوقعه من السبب -وهو العقد على ذلك القصد- غير معتد به شرعًا.

ولا يعد الناس من تزوج لتحليل المرأة لزوجها زوجًا حقيقة؛ لأن صورة الزواج خالية عن حقيقة النكاح ومقصوده، وإنما يسمونه محللاً ومتحيلاً، ولذا سماه الشرع: تيسًا مستعارًا.

ومن لم يعتبر المقاصد لصحة العقود قال: إن تصرفات المكلف القولية والعملية تناط أحكامها الشرعية التي تترتب عليها بصورتها الظاهرة التي يُوقعها أسبابًا للأحكام الشرعية، فالعقد يكون صحيحًا بتحقق أركانه، واجتماع شروطه، وانتفاء موانعه الظاهرة، ولو كان مقصد المكلف غير مشروع، ولذا قالوا بصحة جميع العقود السابقة، وإن ترتب عن القصد الإثم أو الكراهة، فقالوا: بصحة بيع العينة، وبيع العنب لعاصر الخمر، وبيع السلاح في الفتنة الداخلية، أو لمن يقاتل به المسلمين ... وقالوا: بصحة زواج التحليل.

فهؤلاء لا يعتبرون مقاصد المكلفين إلا إذا كانت داخلة في صيغة العقد، ولا يعتد به إذا لم تتضمنه صيغة العقد. [ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي (٢١٦/١)].

فإذا ضبط هذه القاعدة وتبين لك وجه الحق فيها تبين لك وجه الخلاف في الفرعيات المبنية عليها، وتبين لك الصواب في أقوال الناظرين.

**الراجح في المسألة:**

وأما القول الراجح في المسألة فهو بطلان زواج التحليل، وسواء في ذلك إن اشترط عليه في العقد، أو كان سابقًا له، أو إذا نواه الزوج المحلل بغير تواطؤ مع أحد الزوجين للنصوص الواردة في المَسألة، وللإجماع المنقول عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، واعتبارًا لمقاصد المكلفين.

قال أبو عمر ابن عبد البر في الاستذكار- باختصار- (٥ / ٤٥٠): «معلوم أن: إرادة المرأة المطلقة للتحليل لا معنى لها إذا لم يجامعها الرجل على ذلك؛ لأن الطلاق ليس بيدها فوجب ألا تقدح إرادتها في عقد النكاح.

وكذلك المطلق أحرى ألا يراعى؛ لأنه لا مدخل له في إمساك الزوج الثاني ولا في طلاقه إذا خالفه في ذلك.

فلم تبق إلا إرادة الزوج الناكح.

فإن ظهر ذلك بالشرط عُلم أنه مُحلل دخل تحت اللعنة المنصوص عليها في الحديث، ولا فائدة للعنة إلا إفساد النكاح، والتحذير منه والمنع يكون حينئذ في حكم نكاح المتعة كما قال الشافعي، ويكون محللاً فيفسد نكاحه، وهاهنا يكون إجماعًا من المشدد والمرخص، وهو اليقين، إن شاء الله تعالى.

ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له كلعنه آكل الربا وموكله ولا ينعقد بشيء من ذلك ويفسخ أبدًا، وبالله التوفيق».

هذا ما يسره الله تعالى في هذه المسألة؛ فإن يكن صوابًا فالحمد لله وحده، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله.

# ديانة الإبراهيمية المزعومة وتزييف الوعي الإسلامي المعاصر

إعداد
**د. عبد الوارث عثمان**
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد: فالأمة الإسلامية تتعرض لغزو فكري وعقائدي وأخلاقي رهيب في عصرنا الحديث هو الأقوى شراسة والأشد ضراوة والأعظم أثرًا على مر العصور بحيث تفوق نتائجه ما أحدثته الحملات الصليبية التي استهدفت الأراضي الإسلامية والعربية ونهب ثرواتها عبر قرنين متتاليين من الزمن، ويتعدى خطره هجمة التتر الوحشية على العالم الإسلامي وما خلفته من خراب ودمار وقتل وتشريد. ويتضاءل أمامها صنائع الاستعمار الغربي في العصر الحديث في بلاد العرب إذ إنها جميعًا كانت تنال من الأرض والجسد والأموال فحسب. أما غزو اليوم فيستهدف العقل المسلم ويستميل القلب المؤمن ويمحو الهوية الاعتقادية والموضوعية والشكلية للشخصية الإسلامية ويجعلها مطموسة غير واضحة المعالم منقادة لعدوها انقياد الدابة الطائعة لصاحبها، وإن كان من الصم البكم العميان.**

وكذلك يعمل على نقض عرى الإيمان عروةً عروةً، وهدم بنيان الإسلام ركنًا ركنًا، ويأتي على مصادره فيطعن على صحتها ويقدح في شرفها وينتقص من قدرها، وهو لم يعاود الكرة معتليًا دبابة أو شاهرًا سلاحه الصارم البتار صارخًا بلسانه الأعجمي، وإنما أقبل علينا بقضايا افتعلها وإشكاليات فكرية تجول في خاطره المريض وتجيش في حنايا نفسه الخبيث ليعلن الوصول إلى حلها بعيدًا عن شريعة الإسلام ويأتي بتوهمات عقلية ماجنة يريد صياغتها واقعيًا في شؤون الأسرة والمجتمع والتعليم والإعلام والثقافة على ألسنة ثلة من العلمانيين والليبراليين ممن ينتسبون إلى دين الإسلام جغرافيًا، وينتمون إلى العربية شكليًا، لتكون الفتنة قائمة والضربات موجعة والطعنات قاتلة وشهادات السقوط من أهلها؛ كما يتوهمون.

وبين الفينة والفينة يخرج علينا أصحاب الأصوات المنكرة والأفكار المدمرة والمبادئ الهادمة والأطروحات الضالة المضلة الممزوجة بالجهل المركب الغاشم بدعوات لمحو معالم ديننا الإسلامي الحنيف والقضاء على شريعته الغراء التي رسمت للمسلمين طريقهم إلى الله، بطرح ما يسمى «الإبراهيمية الجديدة»، أو «الديانة الإبراهيمية الجديدة» وهي أكذوبة وخدعة مصدرها مراكز بحثية ضخمة وغامضة، انتشرت مؤخرًا في ربوع العالم، وأطلقت على نفسها اسم «مراكز الدبلوماسية الروحية»، التي تستهدف حل الصراعات التاريخية الطويلة، والقائمة

على أبعاد دينية متشابكة، من أجل تحقيق السلام العالمي استنادًا إلى القيم الروحية المشتركة بين الديانات الثلاث كالتسامح والأخوة الإنسانية، كبديل لنظرية، صمويل هنتنجتون حول «صراع الحضارات» أو «نهاية التاريخ» لفوكو ياما.

الديانات الإبراهيمية الثلاث من-وجهة نظرهم- هي إذن أحد أهم أسلحة هذه «الدبلوماسية الروحية»، والتي يجب أن يتحاور ممثلون عنها لوضع «ميثاق ديني» تكون له قدسية سماوية تؤسس للقيم المشتركة بين الأديان الثلاثة، وتنحي خلافاتها العقائدية جانبًا، على أن يتولى فريق مشترك من رجال الدين والسياسيين والدبلوماسيين لإقناع الناس بهذا الميثاق، وتوظيفه لحل الخلافات السياسية بين العرب واليهود، ويمكن في هذا الإطار الاستعانة بقادة الرأي العام والشخصيات المؤثرة في مجتمعاتها لتسويق هذا الميثاق بين الجماهير، كما يمكن استغلال شيوخ الطرق الصوفية الإسلامية في هذا المشروع باعتبار أن التصوف هو القاسم المشترك، بين الديانات بل والملحدين أيضًا، بهدف الوصول إلى «بوتقة روحية» واحدة تربط بين الجميع، والتي يمكن توظيفها أيضًا في محاربة الفقر في العالم-على حد زعمهم-، وليس لتجنب الحروب والصراعات فقط!!

أصابع خفية عديدة تقف وراء نشر «الإبراهيمية»؛ منها جهات رسمية غربية، ومنها مراكز بحوث وجامعات مرموقة، بل هناك قادة دول يروجون لها على أرض الواقع. المؤكد أن الكيان الصهيوني هو المستفيد الحقيقي الأول والأخير من الإبراهيمية المزعومة، أما الشعوب الإسلامية والعربية فهي التي ستدفع الثمن غاليًا من أجل أوهام السلام مع الكيان الصهيوني، وهو ما يدركه جيدًا هؤلاء المبشرون بجنة «الإبراهيمية البائسة»، لكنهم يراهنون على خداعنا وسلب المزيد من حقوقنا والتنازل عن مقدساتنا! وترك مصدر قوتنا ورابط وحدتنا وسر تميزنا وباعث نهضتنا، وسبب عزنا وكرامتنا وهو الإسلام.

ولا يمكن لهذه الأضلولة الخبيثة والأكذوبة الماكرة أن تنطلي على عقل المسلم الصادق المتفقه في دينه ولا تستقيم مع عقيدته التي خلصها من الشوائب والعلل التي تقدح في صحتها وسلامتها، وأخلص فيها لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي قال في كتابه العزيز: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا) (سورة المائدة: ٣).

إن فكرة تعدد الأديان السماوية فكرة لا يستسيغها الوعي الإسلامي، ولا يؤمن بها مثقال ذرة، فالإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي بُعث به جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام وحتى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ خاتم الأنبياء والمرسلين، ليست للبشرية من دين غيره: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ) (آل عمران: ١٩)؛ ويقول جل وعلا: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥)؛ إنها عقيدة المسلم التي لا يمكن تجزئتها أو بترها أو تبديلها أو تحريفها.

قال تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ) (الشورى: ١٣).

وقد اشتملت رسالة الإسلام الخالدة التي حمل لواءها سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله في جانب من جوانبها على جملة من الأوامر والنواهي والمبادئ والقواعد تتعلق بالحكم والسياسة والقضاء والسلم والحرب والتعليم والثقافة والمجتمع والأسرة بمثابة المبادئ العامة والأساسية والأصولية لتنظيم شئونها والقيام بأمرها بما يحقق التوازن المحكم الحكيم بين الدين والدنيا وإقامة العدالة وحددت الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية، ووضحت علاقتهم بأهل الكتاب وغيرهم، بحيث أرست مبادئ حقوق الإنسان منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، وتم الاعتماد عليها عند إنشاء المنظمات الدولية: "كعصبة الأمم" في الماضي، و"الأمم المتحدة" حاليًا وقواعد التعامل معهم في السلم والحرب وفي المهادنة، ولم تمنع من

الإقساط إليهم وبرَهم إن لم يعتدوا علينا أو يظاهروا على إخراجنا من ديارنا، أو حاولوا النَيل من عقيدتنا وشريعتنا أو استضعفوا فئة قليلة منا في أي مكان من الأرض الرحبة الواسعة.

وقد بنت أوروبا حضارتها الحديثة على دعامتين أساسيتين الأولى: ما انتهلت منه أوروبا من العلوم الإسلامية في الطب والهندسة والكيماء والرياضيات ومختلف العلوم والاقتصاد والسياسة والعسكرية والزراعة والتجارة والثقافة وحتى سبل النظافة البدنية واللياقة.

الثانية: ما سلبته من ثروات أرض الإسلام إبَان ضعف الخلافة العثمانية بمساعدة القوميين العرب. فمساواة الإسلام الرسالة العامة الشاملة الكاملة بغيرها، هو من الظلم البين والإجحاف الواضح بحقها؛ إذ إن البشرية خرجت به من الظلمات إلى النور وعرفت به العلوم والنظم وكافة المعارف الإنسانية.

ولا يمكن لساذج مضل لئيم أن يربط بين "ديانة الإبراهيمية" هذه وبين نبي الله إبراهيم عليه السلام لعدة وجوه من أهمها: أولا إن نبي الله إبراهيم عليه السلام بعث برسالة الإسلام شأن كل أنبياء الله ورسله، قال تعالى: ( مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ) (آل عمران ٦٧). فحاشاه عليه السلام أن يكون يهوديًا وهم الذين قالوا: "يد الله مغلولة" وزعموا أن: " العزير ابن الله"، وحاشاه أيضًا يكون عليه السلام نصرانيًا وهم الذين قالوا: "إن الله ثالث ثلاثة"، وزعموا أن المسيح: "ابن الله " تعالى الله عما يصفون علوًا كبيرًا. ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين. فقد تمت تبرأته عليه السلام من انتساب اليهود والنصارى إليه نسب دين واعتقاد فهو من المسلمين الموحدين وهما على غير دينه، قولاً واحدًا.

ثانيًا: إن طبيعة الإسلام الدين السماوي الوحيد من زمن آدم عليه السلام وحتى نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين أنه يصطدم بالواقع المخالف لشرع الله فيهدمه، ويعيد بناءه من جديد وفق أوامر الله واجتناب نواهيه وعلى أساس مقتضيات عقيدة التوحيد والدين القيم. بيد أن هذا المشروع الماكر الخبيث يدعو إلى التخلي عن ثوابت العقيدة وهي أساس الدين وموضع الامتحان والاختبار الإلهي لعباده وهي المحرك الأصلي للعقل والقلب والجوارح عند التفكير، والتعبير، واتخاذ القرارات، وتحديد المواقف وممارسة السلوك واختيار الخير أو الشر والحرب والسلم، والحب والكراهية، والولاء والبراء إلى غير ذلك مما تدفع العقيدة المرء إليه، مع الواقع الإنساني يقول بأن الإنسان لا يمكنه أن يحيا بغير عقيدة.

إن العديد من المنتمين إلى الإسلام عامة، وخاصة مما يقومون بوظائف دينية رسمية يشغلونها في الدول العربية ممن تناولوا هذه الفرية النكراء "الديانة الابراهيمية الموحدة"؛ فأبدوا شيئًا من المرونة حيالها، بناء على قراءات خاطئة أو على الأقل ناقصة أو مبتورة؛ فقد خيل إليهم أن الأمر يتعلق بالتسامح والإخاء والمحبة بين الشعوب. إنها سطحية تكاد تكون عادة في معظم معاركنا الفكرية والثقافية والسياسة والدعوية التي نخوضها منذ سنوات طويلة بدون معلومات صحيحة ومحددة أو بانحيازات عقلية ضيقة منغلقة على ذاتها؛ فجهلوا أن هذه الديانة تخفي أهدافًا سياسية خادعة، وتستهدف في نهاية المطاف تذويب ثوابت العقيدة الإسلامية ومحو شريعة الإسلام من الوجود واستسلام الأمة الإسلامية لمقتضيات الأمر الواقع الذي فرضته الصهيونية العالمية، وفيه اغتصاب اليهود على الأرض الفلسطينية، بما في ذلك القدس ومزارع شبعا اللبنانية وهضبة الجولان السورية، ولبلوغ ذلك لابد من إماتة الشخصية الإسلامية الواعية وما تحويه مبادئ رسالة الإسلام الخالدة وإبعاده عن جوهر الشريعة ومقاصدها.

على أن المقصود بتلك الخديعة هي الأجيال الجديدة من أجل غرس كره خفي للإسلام، وخلق ميلاً إزاء اعتناق الدين الابراهيمي الجديد.

ولقد بدأت بالفعل "مراكز الدبلوماسية

الروحية" في تنفيذ مخططاتها على نطاق واسع. وبما أن النشء موضوع على رأس الفئات المستهدفة، قامت تلك المراكز بتوزيع كتيبات تنطوي على مجموعة من القيم السامية على المدارس الدولية والمعروفة باسم: "المدارس الانترناشيونال" والتي تشتهر برفضها لتدريس مادة الدين، وتستبدله بتدريس مجموعة من القيم العامة تُعطى للطلاب في شكل كتيبات تغطي قيَم الدين الإبراهيمي الجديد. فما يحدث فعليًا هو عملية غسيل مخ للنشء؛ بقصد إعداد أجيال تقبل على اعتناق الديانة الإبراهيمية الجديدة عند طرحها في المستقبل القريب على أنها الدين العام العالمي. وعندئذ، تتحول المراكز البحثية إلى أماكن ومزارات مقدسة تحلّ محل الجامع.

ومع تغيير الاتجاه العالمي للسياسة الخارجية للدول غير العربية، تم توظيف الدين كأحد ركائز الحلول المطلقة لمعضلات سياسية، وبالفعل، تم اختبار ذلك في حَيز محدود فيما يسمى بـ "مؤتمرات حوارات الأديان"، ولكن على نحو نخبوي. لكن إقرار السلام في تصورهم تكفلت به مراكز "الدبلوماسية الروحية" التي رأت أن حلَ الصراعات ممكن إذا أعيد تفسير النصوص القرآنية بشكل تنويري يحقق السلام وعند وجود أيّ نص عدائي أو يدعو للعنف، يأتي هنا دور علماء الدين في إعادة التفسير والتأويل، وذلك الاتجاه ليس بالغريب أو البعيد عن عالمنا المعاصر؛ حيث يطالعنا الإعلام في كل يوم بوجوه جديدة لا ترتدي عباءة عالم الدين، لكن تدعي التنوير والتجديد والتدين، وتأخذ في إعادة تأويل النصوص القرآنية والطعن فيما جاء من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في البخاري ومسلم وغيرهما من المحدثين؛ لتمهيد الطريق لعمل مراكز" الدبلوماسية الروحية " التي تنتشر في مراكز الصراع، وتركز على قيم الود والتسامح، وخاصة ما يختص بالقضايا الشائكة في الشرق الأوسط.

وعلى هذا ترسخ في الأذهان فكرة أن الإسلام في شكله الحالي ما هو إلا مصدر للمتاعب ويجب إعادة تأويله بشكل مسهب لدرجة تمنح الإسلام ميوعة لا يمكن بعدها تميزه عن غيره.

ولتسهيل مهمة "مراكز الدبلوماسية الروحية"، كان من اللازم تقريبها للجمهور من الناس، وتقديمها مدنيًا تحت مسميات مختلفة على أنها مراكز تنموية تقدم مساعدات مادية وعينية للمتضررين في أماكن الصراع. وبوصفها مراكز روحية، فإنها تعمل على تقديم الرعاية الطبية، وتقديم المساعدات العينية، وتموَل المشروعات الصغيرة.

وبالتأكيد المعين الذي لا ينضب لتلك المراكز هو التمويلات الضخمة التي تتلقاها من صندوق النقد، والبنك الدولي، والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.

وشيئًا فشيئًا، يسهل الانصراف عن الإسلامِ واستبداله بالدين الجديد والذي اتخذ شكلاً ملموسًا على أرض الواقع تجسد في اتجاه الكثيرين لاعتناق مجموعة من "الأفكار الروحية السامية المزعومة"، دون التطرق لمفاهيم الدين الإسلامي والاطلاع على حقائقه من مصادره كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان إيمانهم بالإسلام من قبل إلا إيمان جهالة بأحكامه ومراميه ومقاصده، لذلك وقعوا فريسة سهلة في مصائد أئمة الضلال، الذين وظّفوا القوى الناعمة في حسم الصراعات لصالح الدول الباحثة عن الهيمنة وبسط النفوذ واحكام السيطرة على الدول النامية بدون تكبد خسائر مادية، أو دفع فاتورة حرب باهظة الثمن فمن خلال نشر أكذوبة الديانة الإبراهيمية الموحدة الجديدة لن يجد الأفراد غضاضة في تقبل بسط دول أخرى نفوذها عليهم، حتى وان كانت محفورة في الأذهان ككيان معاد. وبما أن المستهدف هو الجيل الجديد، كان لا بد من تشويه معالم الإسلام بعينه لأنه هو القادر وحده على هداية القلوب الحائرة وايقاظ الهمم الخائرة، ويشتمل على مناهج ونظم لو طبقت من أتباعه لحكموا به العالم كما فعل أسلافهم.

والله المستعان.

# واحة التوحيد

## من نور كتاب الله

### الصبر على العبادة ومصاحبة الصالحين

**يقول الله تعالى:** ( وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ) (الكهف: ٢٨).

## من أقوال السلف

عن عبد الله بن الحسن قال: قلت للوليد بن مسلم: ما إظهار العلم؟ قال: إظهار السنة. (الاعتصام للشاطبي).

## من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

### المسلم بين التصدق والعفو والعفة

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ثلاث والّذي نفس محمّد بيده إن كنت لحالفًا عليهنَّ: لا ينقص مال من صدقة فتصدّقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا رفعه بها، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر". (مسند أحمد).

## حكم ومواعظ

عن سفيان بن عيينة قال: قيل للزهري: ما الزهد؟ قال: "من لم يغلب الحرام صبره، ولم يمنع الحلال شكره". قال أبو سعيد: معناه الصبر على الحرام والشكر على الحلال. (شعب الإيمان).

## من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل يضع حافره عند منتهى طرفه، فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس؛ فُتحت لي أبواب السماء ورأيت الجنة والنار". (صحيح الجامع).

إعداد : علاء خضر

## من حكمة الشعر

قال البستي محذرًا
من مصاحبة الأشرار:

تجنّب مجالس أهل الفساد
وقايض دنوك منهم ببعد
فقد يفسد المرء بعد الصلاح
فساد الأماكن والشرُّ يعدي

## من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال، "كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار" (صحيح البخاري).

## من معاني الأحاديث

"من يستعفف يعفه الله" الاستعفاف: طلب العفاف والتعفف، وهو الكفّ عن الحرام والسؤال من الناس: أي من طلب العفة وتكلّفها أعطاه الله إياها. وقيل الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء، يقال: عف يعف عفة فهو عفيف. (النهاية لابن الأثير).

## من حُسن العشرة بين الزوجين

عن الزهري قال: قال أبو الدرداء لامرأته: إذا رأيتني غضبت فترضيّني، وإن رأيتك غضبت ترضّيتك، وإلا لم نصطحب. (العقد الفريد)

## من فضائل الصحابة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس يوم الخندق، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لكل نبيّ حواري وحواري الزبير". (صحيح مسلم)

وانتدب: سأل الصحابة: من يخرج ليأتي بخبر قريش؟ وذلك أثناء حصار قريش للمدينة النبوية يوم الخندق.

# شهر رجب بين السنة والبدعة

إعداد **د. متولي البراجيلي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

هذا تذكير بما ورد في فضل شهر رجب الصحيح منه والضعيف.

### أولاً: شهر رجب من الأشهر الأربعة الحرم المذكورة في قوله سبحانه وتعالى:

( إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ ) (التوبة ٣٦). وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أسماء هذه الشهور الأربعة كما بالحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" (متفق عليه).

وقد أطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم "رجب مضر"؛ لأن مضر كانت تعظِّمه في الجاهلية فلا تزيد فيه أو تنقص منه، وهو النسيء الذي حرمه الله تعالى في قوله: (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليوافقوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) (التوبة ٣٧).

### ثانيًا: لماذا نهى الله تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم ومنها رجب؟

قال تعالى: (منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم). إن الظلم حرمه الله تعالى وهو منهي عنه في كل زمان كما بالحديث عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا" (مسلم). لكن الله تعالى خص الأشهر الحرم تعظيمًا لها وتشريفًا بأن نهى عن الظلم فيها، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرمًا، وعظم حرمتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم (انظر تفسير الطبري ١١/ ٤٤٤).

### ثالثًا: الصيام في رجب:

لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل صيام رجب خاصة حديث صحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة، بل موضوعة، لا يعتمد أهل العلم على شيء منها، وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل، بل عامتها من الموضوعات المكذوبات" (مجموع الفتاوى ٢٥/ ٢٩٠-٢٩١).

وقال ابن القيم: "كل حديث في ذكر صيام رجب وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى" (انظر المنار المنيف ص ٩٦).

وقال الحافظ ابن حجر: "لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ولا صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة" (انظر تبيين العجب ص١١).

وقد كان عمر رضي الله عنه يضرب على صيام رجب، فعن خرشة بن الحر قال: رأيت عمر يضرب أكف الناس في رجب حتى يضعوها في الجفان، ويقول: كلوا فإنما هو شهر كان يعظَّمه أهل الجاهلية (مصنف ابن أبي شيبة ح ٩٧٥٨ وصححه الألباني في الإرواء).

ومن صام فيه على عادته كصيام الاثنين والخميس والثلاثة الأيام القمرية، أو صام يومًا وأفطر يومًا كصيام داود، فما دامت تلك عادته فنعم ما اعتاده ولا حرج.

### رابعا: الذبح في رجب:

كانوا يذبحون شاة في العشر الأوائل من رجب، وتسمى العتيرة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها كما بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا فرع ولا عتيرة" (متفق عليه).

لكن وردت أحاديث تدل على مشروعيتها منها حديث نبيشة قال: نادى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا كنا نعتر عتيرة في الجاهلية في رجب فما تأمرنا؟ قال: اذبحوا لله في أي شهر كان ..... (أبو داود وغيره، صححه الحاكم وابن المنذر، والأرناؤوط في المسند والألباني في صحيح أبي داود وغيره).

قال الألباني: والفرع هو أول نتاج كان ينتج لهم كانوا يذبحونه لطواغيتهم، والعتيرة: ذبيحة في رجب كانوا يعظمون بها شهر رجب. فإن ذبح المسلم أول نتاج -من أنعامه- لله تعالى، أو ذبح في رجب كما يذبح في غيره من الشهور دون تخصيص لرجب على ما سواه من الأشهر، بل قد جاءت أحاديث تدل على ذلك، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الفرع ؟ فقال: حق. وسئل عن العتيرة؟ فقال: حق، وفي حديث آخر: اذبحوا لله في أي شهر كان (انظر: أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب ص٣٨، والارواء تحت حديث ١١٨١).

وقال الحافظ: وقد ورد الأمر بالعتيرة في أحاديث كثيرة، وصحح ابن المنذر منها حديثًا، وساق البيهقي منها جملة، والجمع بين هذا وبين حديث أبي هريرة (لا فرع ولا عتيرة) أن المراد بالوجوب، أي لا فرع واجب ولا عتيرة واجبة (انظر تلخيص الحبير ٤/٣٦٨).

وقال الجمهور: إن ما ورد في جواز العتيرة منسوخ بأحاديث النهي عنها، وقال القاضي عياض: إن الجمهور على ذلك (انظر نيل الأوطار ٥/ ١٦٦)، والى النسخ ذهب ابن قدامة (انظر المغني ٩/ ٤٦٥، النووي على مسلم ١٣/ ١٣٧). وذهب الشافعي إلى استحباب العتيرة (انظر المجموع للنووي ٨/٤٤٣).

وقال ابن رجب: العتيرة اختلف العلماء في حكمها في الإسلام، فالأكثرون على أن الإسلام أبطلها ..... ومنهم من قال بل هي مستحبة، منهم ابن سيرين، وحكاه الإمام أحمد عن أهل البصرة، ورجحه طائفة من أهل الحديث المتأخرين، ونقل حنبل عن أحمد نحوه (انظر لطائف المعارف ص١١٧).

قلت: والأولى عدم الذبح في رجب وتخصيصه بذلك؛ لأمرين: أن ذلك كان من فعل الجاهلية، ولترجيح قول الجمهور بالنسخ، والله أعلم.

### خامسًا: العمرة في رجب:

لم يصح أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر في رجب،

أو ذكر حديثًا في فضل العمرة في رجب. فعن أنس رضي الله عنه قال: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته (متفق عليه).

وأما ما ورد عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة رضي الله عنها، وإذا ناس يصلون في المسجد صلاة الضحى ثم قال له: كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: أربعًا إحداهن في رجب، فكرهنا أن نرد عليه. قال: وسمعنا استنان (السواك) عائشة أم المؤمنين في الحجرة، فقال عروة: يا أماه يا أم المؤمنين ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: ما يقول؟ قال: يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب. قالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهد وما اعتمر في رجب قط (متفق عليه).

قال النووي: وأما قول ابن عمر (إن إحداهن في رجب): فقد أنكرته عائشة وسكت ابن عمر حين أنكرته. قال العلماء: هذا يدل على أنه اشتبه عليه أو نسي أو شك، ولهذا سكت عن الإنكار على عائشة ومراجعتها بالكلام، فهذا هو الصواب الذي يتعين المصير إليه (شرح النووي على مسلم ٨/٢٣٥).

وقد نقل عن بعض السلف أنهم كانوا يستحبون العمرة في رجب، عن سعيد بن المسيب قال: كانت عائشة رضي الله عنها تعتمر في آخر ذي الحجة وتعتمر من المدينة في رجب (مصنف ابن أبي شيبة ح١٣٣٢٩، وذكر آثارا أخرى فيها استحباب العمرة في رجب عن بعض السلف. (انظر مصنف ابن أبي شيبة: في عمرة رجب من كان يحبها ويعتمر فيها). قلت: ولم يثبت في فضل العمرة في رجب نص عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تيسر له الاعتمار في رجب دون اعتقاد فضل معين له، بل لأن ذلك تيسر له، جاز والله أعلم.

### سادسًا: صلاة الرغائب:

وهي صلاة تقام في أول ليلة من رجب، وهي بدعة باتفاق العلماء ولا أصل لها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: صلاة الرغائب لم يسنَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه، وهي بدعة باتفاق ائمة الدين كمالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة والثوري والأوزاعي والليث وغيرهم، والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث (مجموع الفتاوى ٢٣/١٣٤، المنار المنيف ص٩٥).

### سابعًا: التصدق عن الموتى وزيارتهم في رجب:

لم يثبت في ذلك شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### ثامنًا: أدعية خاصة لشهر رجب:

كلها بِدَع ولا أصل لها.

### تاسعًا: الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

لم يصح في الاحتفال به أو صيامه أو قيامه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ورد في ذلك مكذوب مثل حديث: من صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب الله له ثواب ستين شهرًا. أو حديث: وقيام ليلها فضيل وصيام نهارها مستحب لكل مسلم ومسلمة.

وقد اختلف العلماء في وقت الإسراء والمعراج على أقوال كثيرة. فقيل كان في السابع والعشرين من رجب، وقيل في شهر رمضان، وقيل في شهر شوال، وقيل في السابع والعشرين من ربيع الأول، والسابع والعشرين من ربيع الآخر، إلى غير ذلك، ولو صح أنها كانت في ليلة بعينها فليس هذا مبررًا للاحتفال بها؛ لأن ذلك لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

# صلاة المسافر

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن مدة القصر، وتكلمنا في هذه المسألة عن حالات ثلاث:

**الحالة الأولى:** وهي التي يكون فيها الإنسان يتنقل من بلدة إلى أخرى، وهذه الحالة لا خلاف فيها بين أهل العلم أن للمسافر أن يقصر الصلاة مهما طالت مدة السفر.

**والحالة الثانية:** وهي إذا قدم المسافر إلى بلد لا يدري هل يخرج غدًا أو بعد غد في القريب فإنه يقصر مدة إقامته ولو طالت، فلو قال: أخرج غدًا أو بعد غد وهو متردد كأن تكون عنده تجارة أو مصلحة؛ فإنه يقصر الصلاة ما شاء الله ولو جلس شهورًا، وهذا مذهب جماهير العلماء.

**والحالة الثالثة:** وهي إذا نزل المسافر على المدينة أو القرية وهو يعلم مدة نزوله، أو طالب يريد أن يدرس في موضع شهورًا ثم يرجع، وهذه الحالة اختلف فيها أهل العلم اختلافًا كبيرًا، وقد ذكرنا أشهر الأقوال في المسألة، وذكرنا طرفًا من أدلة هذه الأقوال.

ونكمل في هذا اللقاء الحديث عن مدة القصر وما هو القول الراجح في ذلك.

مذهب إسحاق بن راهويه: ذهب إلى أن مدة القصر تسعة عشر يوماً؛ واستدل بما ثبت في البخاري عن ابن عباس قال: (أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة) قال ابن عباس: (فنحن إذا أقمنا تسعة عشر يوماً قصرنا وإذا زدنا أتممنا).

والمقصود من كونه يتم من أول مكثه وإقامته.

ورد جمهور الفقهاء على هذا الحديث بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعزم الإقامة، بل كان عليه الصلاة والسلام ينوي الخروج غداً أو بعد حتى خرجت هذه المدة فكانت اتفاقاً، ونحن وأنتم نقول: إن من مكث في بلدة ما ولم يعزم إقامة فإنه يقصر أبداً، قال المهلب: والفقهاء لا يتأولون هذا الحديث كما تأوله ابن عباس ويقولون: إنه كان (صلى الله عليه وسلم) في هذه المدة التي ذكرها ابن عباس غير عازم على الاستقرار، لأنه كان ينتظر الفتح، ثم يرحل بعد ذلك، فظن ابن عباس أن التقصير لازم إلى تسعة عشر يومًا، ثم ما بعد ذلك

حضر تتم فيه الصلاة، ولم يرع نيته في ذلك. (أنظر شرح صحيح البخاري- لابن بطال ٣ / ٦٦).

ورُدَّ على كلام جمهور الفقهاء: بأنه خلاف الظاهر، فإن الظاهرِ أنه أقام تسعة عشر يوماً بنية، ويؤيده القرائن منها: إن ذلك كان في فتح مكة كما في رواية لأبي داود: (وذلك في عام الفتح) فأقام فيها تلك المدة، ويبعد أن يكتفي بمدة أقل منها إذ مكة كانت محل أهل الشرك، وكان العرب يقتدون بهم في سلمهم وكفرهم حتى لما آمنوا وأسلموا، دخل الناس في دين الله أفواجاً، فهي مكة التي كان فيها صناديد الكفار فيبعد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم نوى إقامة يوم أو يومين أو ثلاثة.

مذهب أهل الظاهر: ذهب إلِى أن مدة القصر عشرون يوماً.

واستدلوا: بما رواه أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم: (أقام بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة) لكن الحديث قد اختلف فيه علي: (يحيى بن أبي كثير) فرواه معمر عن يحيى موصولاً، ورواه الثقات عنه مرسلاً وهو الراجح كما رجح ذلك الدارقطني وغيره فأعله الدارقطني في العلل بالإرسال والانقطاع. (انظر: سبل السلام للصنعاني٢ / ٣٧٨).

وأجيب أيضًا بأن تبوك كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم ماءًا يرده المسافرون ولم تكن مدينة، فكانت مورد ماء فنزل عليه-عليه الصلاة والسلام- بالجيش وأرسل العيون على بني الأصفر الذي هم الروم؛ لكي يأتوه بالأخبار، هل هناك جيش أو لا؟ فهذه العيون التي أرسلها لا يدري عليه الصلاة والسلام هل تأتي غداً؟ هل تأتي بعد غد؟ يعني أرسلهم من أجل أن يستجلوا حقيقة الأمر، فالقول بأنه يعلم أنهم سيمكثون أكثر من أربعة أيام مكابرة (انظر: دروس عمدة الفقه للشنقيطي).

مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو اختيار ابن القيم وهو مذهب طائفة من أهل العلم إلى أن مرجع ذلك إلى العرف، وذلك لأن الشرع لم يثبت فيه تحديد لهذه المسألة واللغة أيضاً. ولو بقي شهوراً. والثابت في السنة النبوية المطهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتم الصلاة في أسفاره أبداً، ولم يطلب من أحد أن يتم الصلاة بعد مدة معينة من سفره، فالسفر يبقى سفراً، والإقامة لا تخرج عن حكم السفر ما لم تكن الغاية من السفر الاستيطان والسكن، أو الإقامة المطلقة، أو قرر المسافر السكن والاستيطان بعد سفره.

فإن الأحاديث التي استدل بها علي تحديد زمنِ للقصرِ لا تفيد تحديداً زمنياً للقصر في السفر، وإنما تدل على أن هذه الأوقات المذكورة إنما وقعت كحوادث عين، وليست لها دلالة أخرى، فلا تفيد تقييد القصر بهذه الأوقات. وقد فهم ذلك عدَّةٌ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكونوا يتقيدون بزمن محدَّد للقصر في السفر، فالبيهقي روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «أريح علينا الثلج ونحن بأذربيجان ستة أشهر في غزاة، قال ابن عمر: وكنا نصلي ركعتين». عن حفص بن عبيد الله: أن أنس بن مالك أقام بالشام سنتين يقصر الصلاة. عن عبد الرحمن بن المسور قال: أقمنا مع سعد بعمان- أو بعمان- شهرين فكان يصلي ركعتين ونصلي أربعًا فذكرنا ذلك له فقال: نحن أعلم.

وقال الحسن أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع.

وجاء في مصنف ابن أبي شيبة «أنَّ أبا جمرة، نصر بن عمران، قال لابن عباس إنا نطيل القيام بالغزو بخراسان، فكيف ترى؟ فقال: صلِ ركعتين وإن أقمتَ عشر سنين». (انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤/ ١٤٢، زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٤٨٨).

وأجاب جمهور الفقهاء عن ذلك: محمل هذه الأحاديث عندنا على من لا نية له في الإقامة لواحد من هؤلاء المقيمين هذه المدد المتقاربة وانما ذلك مثل أن يقول

اخرج اليوم أخرج غدا وإذا كان هكذا فلا عزيمة ههنا على الإقامة، أن الأصل في المقيم الإتمام لأن القصر لم يشرعه الشارع إلا للمسافر والمقيم غير مسافر، فلولا ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قصره بمكة وتبوك مع الإقامة لكان المتعين هو الإتمام فلا ينتقل عن ذلك الأصل إلا بدليل (نظر نيل الأوطار للشوكاني ٣/ ٢٥٥، التمهيد لابن عبد البر ١١/ ١٨٤).

ومما استدل به أصحاب هذا المذهب العرف؛ لأن اللغة العربية والشرع لم يثبت فيهما تحديد للمدة التي يثبت بها كون الإنسان مسافراً أو مقيماً فوجب الرجوع إلى العرف كما هو مقرر في أصول الفقه. (انظر شرح الزاد للحمد).

وأجاب جمهور الفقهاء عن ذلك: بما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رخص للمهاجرين أن يبقوا بمكة ثلاثة أيام. فإن الشرع قد يأتي بالشيء صريحًا، وقد يأتي به ضمنًا، فلما جعل الأربعة الأيام فاصلًا بين أن يقيم وبين أن لا يقيم وما دونها ليس بإقامة وإذا وصل إليها فهو مقيم رخَّص للمهاجرين ثلاثة أيام؛ دل على أنه في اليوم الرابع يكونون في حكم المقيم، فأخذ من هذا طائفة من أهل العلم رحمهم الله أن الأربعة الأيام غير يوم الدخول والخروج تكون تامة فاصل بين الإقامة وعدمها. (انظر: دروس عمدة الفقه للشنقيطي).

وبعد عرض مذاهب العلماء في المسألة وأدلتهم أرى أن أقربها للصواب ما ذهب إليه جمهور العلماء مذهب مالك والشافعي والليث والطبري وأبو ثور إذا نوى إقامة أربعة أيام أتم، وهذا ما اختاره العلامة الشنقيطي رحمه الله والشوكاني في نيل الأوطار حيث قال: والحق أن من حط رحله ببلد ونوى الإقامة بها أيامًا من دون تردد لا يقال له مسافر فيتم الصلاة ولا يقصر إلا لدليل، ولا دليل ههنا إلا ما في حديث الباب من إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة أربعة أيام يقصر الصلاة، والاستدلال به متوقف على ثبوت أنه صلى الله عليه وسلم عزم على إقامة أربعة أيام إلا أن يقال: إن تمام أعمال الحج في مكة لا يكون في دون الأربع فكان كل من يحج عازمًا على ذلك فيقتصر على هذا المقدار، ويكون الظاهر والأصل في حق من نوى إقامة أكثر من أربعة أيام هو التمام، وإلا لزم أن يقصر الصلاة من نوى إقامة سنين متعددة، ولا قائل به، ولا يرد على هذا قوله صلى الله عليه وسلم في إقامته بمكة في الفتح: «إنا قوم سفر» كما سيأتي؛ لأنه كان إذ ذاك مترددًا ولم يعزم على إقامة مدة معينة. (انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٣ / ٢٥٥).

ومع هذا نقول: إن هذه المسألة من المسائل التي يسع فيها الخلاف، ولا ينبغي فيها الإنكار على المخالف خاصة وأنها من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل العلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

## عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الدكتور عماد محمد علي عيسى، وهو أحد كُتّاب مجلة التوحيد، وتتقدم أسرة التحرير واللجنة العلمية بخالص العزاء لأسرة الشيخ الدكتور وطلابه ومحبيه. اللهم اغفر لعبدك الصالح عماد عيسى وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأسكنه فسيح جناتك، يا رب العالمين.

# شهر رجب

# أحداث وتاريخ

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.**

**وبعد: فإن شهر رجب هو الشهر الهجري السابع، وهو من الأشهر الأربعة الحرم. التي قال عنها ربنا عز وجل: «مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ» (التوبة: ٣٦). ونهى عن الظلم كثيرًا في القرآن وخصص الأشهر الحرم ليحذر من شدة العقوبة للظالم فيها، وبينت السُّنة المطهرة الأربعة الحرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم متواليًا ورجب مضر؛ لأن مضر كانت تعظمه ولا تغيِّره.**

**واسم رجب من الرجوب عند العرب وهو التعظيم، وهذا الشهر قد وقعت فيه عدة أحداث أثرت في تاريخنا الإسلامي، ومن أهمها ما يلي:**

إعداد: أحمد عز الدين محمد

### أولاً: في رجب سنة ٥ من النبوة:

الهجرة الأولى إلى الحبشة وفيها أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لما اشتد عليهم وقال: «إن فيها رجلاً لا يُظلَم عنده الناس»، وكان أهل هذه الهجرة الأولى: اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة، وعلى رأسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ورقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم الزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة وامرأته رضي الله عنهم.

### ثانيًا: في رجب سنة ٢هـ سرية نخلة:

وفيها بعث النبي صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن جحش الأسدي في اثني عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعير، وكان قد كتب له كتابًا وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين- فسار عبد الله رضي الله عنه ثم قرأ الكتاب بعد يومين فإذا فيه «إذا نظرت في كتابي هذا؛ فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصدَ بها عيرًا لقريش وتعلم لنا من أخبارهم». فقال: سمعًا وطاعة، ومضى لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستكره من أصحابه أحدًا، فسار معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد؛ فكان سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان المازني قد ضل بعيرهما الذي يعتقبانه فتخلفا في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه رضي الله عنهم أجمعين حتى نزل نخلة، فمرت عير قريش فيها عمرو بن الحضرمي وعبد الله ونوفل ابنا المغيرة المخزومي، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، وكان ذلك في آخر يوم من رجب، فتوقفوا عن القتال لحرمة شهر رجب، ثم تشاوروا لقرب الحرم ولو دخلوه لأفلتت

العير فقاتلوهم وأسفرت المعركة عن قتل ابن الحضرمي، وأسر عثمان والحكم، وأفلت نوفل وغنموا العير والأسيرين إلى المدينة، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وقال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، ثم نزلت الآيات بعد ذلك بحل ما فعلوه من سورة البقرة: « يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ » (البقرة: ٢١٧).

### ثالثا: غزوة تبوك في غرة رجب سنة ٩هـ:

وتسمى بغزوة العسرة؛ لأنها كانت في زمان فصل قيظ شديد والناس في عسرة وجدب من البلاء وقلة الظهر، وكانت الثمار قد طابت وكان الناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص، وكذلك المسافة إلى تبوك بعيدة والطريق وعرة وصعبة، والحر الشديد، هذا كله وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أن الرومان تهيأوا لغزو المدينة، ولم يكن لقيصر الروم أن يصرف نظره عما كان لمعركة مؤتة من الأثر الكبير لصالح المسلمين ودخول أكثر قبائل العرب القريبة من الشام في الإسلام.

ولذلك لم يقض قيصر الروم بعد مؤتة سنة كاملة حتى أخذ يهيئ الجيش من الرومان والعرب التابعة لهم من آل غسان وغيرهم، وبدأ يجهز لمعركة دامية وفاصلة حاسمة ضد المسلمين حتى بدأ الخوف يتسور أهل المدينة كل حين ودليل ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه البخاري، وكنا تحدثنا أن آل غسان تنعل النعال لغزونا، فجاء صاحبي من الأنصار عشاء، فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أثَمَّ هو؟ ففزعت فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم، فقلت ما هو؟ أجاء غسان؟ قال لا بل هو أعظم منه؛ طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه.. الحديث.

وهذا يدل على خطورة الموقف الذي يواجه المسلمون. قال محمد بن إسحاق: كان الجيش ثلاثين ألفًا وليس معهم إلا عشرة آلاف فرس واثنا عشر ألف بعير، وجاء أبو بكر رضي الله عنه بماله كله أربعة آلاف درهم، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، وجهز عثمان رضي الله عنه الجيش، فكان الأكثر نفقة، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين.

وأتت النساء بصدقاتهن، وجاء البكاءون يستحملون النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة، وتخلف المنافقون، كما تخلف نفر من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، هذه الغزوة سيقت بآيات وقائعها من سورة التوبة للعبرة والعظة التي يتربى عليها أبناء المسلمين، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا ساحقًا على الرومان.

**رابعا:** ١) وفاة النجاشي صاحب الحبشة:

ونعاه الرسول صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه وأصحابه صلاة الغائب في رجب سنة ٩هـ.

٢) فتح دمشق في رجب سنة ١٤ هـ، بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعه خالد بن الوليد رضي الله عنهم.

٣) وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، في رجب سنة ١٠١هـ.

٤) وفاة الحسن البصري رحمه الله تعالى في رجب سنة ١١٠هـ.

٥) وفاة الإمام محمد بن إدريس الشافعي في رجب سنة ٢٠٤هـ.

٦) وفاة الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله في رجب سنة ٢٦١هـ.

٧) وفاة الإمام الترمذي ليلة الخميس ثالث عشر سنة ٢٧٩هـ، وهو المحدث الكبير أبي عيسى الترمذي نسبة إلى ترمذ، والتي وُلِدَ بها وهي بلدة قرب بلخ، ولد ضريرًا وتفرغ منذ صغره لطلب العلم حتى صار حافظًا معروفًا وهو صاحب الجامع الصحيح.

٨) معركة الزلاقة بالأندلس في رجب سنة ٤٧٩هـ، والتي انتصر فيها القائد الكبير يوسف بن تشفين المرابطي رحمه الله تعالى على أهل الكفر والصد عن سبيل الله، من أعداء الإسلام.

وبالجملة فالأحداث في هذا الشهر أكثر من أن تُحصى، وفي هذا القدر كفاية.

ولله الفضل والمنة، هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# التحذير من استحلال دماء الآمنين

إعداد **عاطف التاجوري**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

فالدواعش والتكفيريون أسماء عصرية لفكر قديم موجود منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، ألا وهو فكر الخوارج، فقد جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة، فقسمها بين الأربعة، الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: «إنما أتألفهم»، فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: «من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟»، فسأله رجل قتله -أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه. فلما ولى قال: «إن من ضئضئ هذا -أو في عقب هذا- قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». (رواه البخاري برقم ٣٣٤٤، ورواه مسلم برقم ١٠٦٤).

وفي كتابه استتابة المرتدين من صحيح البخاري كرر هذا الحديث في باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، وفي باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفَر الناس عنه، ورواه مسلم في باب ذكر الخوارج وصفاتهم من كتاب الزكاة.

أما عقيدة الدواعش والتكفيريين فهي كما قلنا عقيدة الخوارج، وعقيدة الخوارج أنهم يكفَرون مرتكب الكبيرة، ويقولون بخلوده في جهنم، ويستحلون دمه وماله.

يقول الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله تعالى في شرح العقيدة الواسطية: «فالخوارج والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من صدَّق بجنانه وأقرَّ بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر.

فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنًا باتفاق الفريقين، ولكنهم اختلفوا هل يسمى كافرًا أم لا، فالخوارج يسمونه كافرًا ويستحلون دمه وماله، ولهذا كفَروا عليًا ومعاوية وأصحابهما واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار. (العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بشرح الشيخ الدكتور/ محمد خليل هراس).

فهؤلاء الخوارج الذين بدأ ظهور فكرهم المتشدّد في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الرجل الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اتق الله يا محمد، ظهروا كفرقة من الفرق في أيام علي بن أبي طالب وحكموا عليه بالكفر هو وأصحابه وكذلك معاوية وأصحابه وقاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينشأ نشء يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع». قال ابن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلما خرج قرن قطع» أكثر من عشرين مرة، «حتى يخرج في عراضهم الدجال». (رواه ابن ماجه برقم (١٧٤)، وقال محققه: حسن، وقال البوصيري: إسناده صحيح، وقد احتج البخاري بجميع رواته، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٤٥٥)).

وهكذا يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء الخوارج يظهرون على فترات متقطعة بين المسلمين، ويبشرنا -والحمد لله- بأنه كلما خرج قرن منهم أي مجموعة منهم انتصر عليهم أهل السنة وقطعوا دابرهم.

### أما عن حكمنا نحن أهل السنة عليهم:

فنحن على القول الراجح لا نكفرهم كما يكفروننا. يقول ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث رقم (٦٩٣٣) في كتاب استتابة المرتدين: وذهب أكثر أهل العلم من أهل السنة إلى أن الخوارج فُسّاق، وأن حُكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك. (فتح الباري لابن حجر: ١٢/٣١٤).

### ومتى نؤمر بقتالهم؟

قال القرطبي في (المفهم): وعلى القول بعدم تكفيرهم يُسلَك بهم مسلك أهل البغي إذا شقوا العصا ونصبوا الحرب. (نقله ابن حجر في فتح الباري: ١٢/٣١٤).

وهذا يعني أننا لا نقاتلهم إلا إذا شقوا العصا ونصبوا على المجتمع واستعدوا هم للحرب أولًا؛ فعند ذلك نحاربهم.

وأما من استسر منهم ببدعته فلا يُقتل، بل يُجتهد في ردّ بدعته. (المصدر السابق بتصرف).

والاجتهاد في رد بدعته بدعوته بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الدين الصحيح وإلى عقيدة أهل السنة والجماعة حتى يهديه الله إليها إذا شاء سبحانه وتعالى.

### الجهل سبب هذه العقيدة الضالة:

قال القرطبي في «المفهم»: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا نفي لهم بعهدهم، وتركوا قتال المشركين واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق من العلم، وكفى أن رأسهم ردّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره، ونَسَبه إلى الجور، نسأل الله السلامة. (المصدر السابق).

### قتال الخوارج أولى من قتال المشركين:

ويلفت نظرنا أيضًا القرطبي في كتابه «المفهم» لهذه المسألة المهمة، وهي الاهتمام بإنهاء فتنة الخوارج إذا أرادوا قتال أهل السنة فيقول: وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى.

هذه نبذة صغيرة عن فكر الخوارج وأقوال العلماء فيهم، وحيث إن الدواعش والتكفيريين لهم نفس الفكر فهم نفس الفرقة، وإن تسموا بأسماء أخرى.

والله أسأل أن نكون من الذين يدعون إلى الله تعالى على بصيرة، وصلى اللهم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

# مثل الجنة التي وعد المتقون

إعداد **الشيخ مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتكلم عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو في سورة محمد الآية الخامسة عشرة وهي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥).

### المعنى الإجمالي

ضرب الله مثلا للجنة التي أعدَّها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه واتبعوا رضوانه، القائمين بأوامر الله وطاعته، فيها كذا وكذا، فيها أنهار جارية من ماء غير متغير الطعم والريح واللون لطول مكثه، بل إنه ماء عذب فرات متدفِّق نقي، مَن شربه لا يظمأ أبدًا، وفيها أنهار من حليب طازج، لم يتغير طعمه بحموضة أو غيرها، وفيها أنهار من خمر لذيذة الطعم، طيبة الشراب، ليست مُرَّة أو كريهة الرائحة، ولا تُسكر، ولا تصدع الشارب أو تذهب عقله، وإنما هي لذيذة للشاربين، وفيها أنهار من عسل صافٍ غير مشوب بمادة أخرى، حسن اللون والطعم والريح، ولهم في الجنة مختلف الثمار والفواكه ذات الألوان البديعة، والروائح الذكية، والطعوم الشهية.. أساكن هذه الجنان أو أهؤلاء كمن هو خالد في النار إلى الأبد؟ وسقوا بالإكراه من ماء حار شديد الغليان، فقطع أمعاءهم وأحشاءهم؟ والمراد: أمثل أهل الجنة بهذه الأوصاف، كمن هو خالد مقيم دائمًا في النار؟ فتكون الكاف في قوله تعالى: (كمن) مؤكدة التشبيه، و(فيها أنهار) في موضع الحال، على هذا التأويل.

فسبحان من فاوت بين الدارين الجزاءين والعاملين والعملين. (مستفاد من التفسير الوسيط- للزحيلي، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي. بتصرف).

### معاني المفردات:

(مثل الجنة التي وعد المتقون) «مثل الجنة» أي نعتها وصفتها.

(فيها أنهار من ماء غير آسن) يعني: غير متغير، وقيل غير مُنْتن، والعرب تقول: آسن الماء إذا تغير ريحه، وقيل: الصافي الذي لا كدر فيه.

(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أي: بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة، لم يحمض، كما تتغير ألبان الدنيا.

(وأنهار من خمر لذة للشاربين) أي لذيذة لهم، طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب.

(وأنهار من عسل مصفى) أي: وهو في غاية

الصفاء، وحسن اللون والطعم والريح.

(ولهم فيها من كل الثمرات) أي لأهل الجنة في الجنة مع ما ذُكرَ من الأشربة من كل صنف من أصناف الثمرات، ومن زائدة للتوكيد.

(ومغفرة من ربهم) لذنوبهم قبل دخولهم إليها والواو لمطلق الجمع وتنكير مغفرة للتعظيم، أي ولهم مغفرة عظيمة كائنة من ربهم، برفع التكاليف عنهم.

(كمن هو خالد في النار) أي: أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار؟ ليس هؤلاء كهؤلاء.

(وسُقوا ماء حميمًا) أي: حارًّا شديد الحر لا يُستطاع.

(فقطع أمعاءهم) أي: قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء؛ عياذا بالله.

### المعنى التفصيلي:

قال تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه).

استئناف بياني لأن ما جرى من ذكر الجنة في قوله (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار). مما يستشرف السامع إلى تفصيل بعض صفاتها، وإذ قد ذكر أنها تجري من تحتها الأنهار موهم السامع أنها أنهار المياه؛ لأن جري الأنهار أكمل محاسن الجنات المرغوب فيها، فلما فرغ من توصيف حال فريقي الإيمان والكفر، ومما أعدَّ لكليهما، ومن إعلان تباين حاليهما؛ ثنَى العنان إلى بيان ما في الجنة التي وعد المتقون، وخص من ذلك بيان أنواع الأنهار، ولما كان ذلك موقع الجملة كان قوله: (مثل الجنة) مبتدأ محذوف الخبر. والتقدير: ما سيوصف أو ما سيُتلى عليكم أو مما يُتلى عليكم. (التحرير والتنوير لابن عاشور).

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا؛ فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مُكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهية مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته، وهذا من آيات الرب، أن تجري أنهار من أجناس لم تجرِ العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا، من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة.

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل، وتكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشاربها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق. (الجامع في أمثال القرآن، لابن القيم ص٢١٠).

والمقصود: بيان البون بين حالي المسلمين والمشركين بذكر التفاوت بين حالي مصيرهما المقرر في قوله: (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) إلى آخره، ولذلكم لم يترك ذكر أصحاب الجنة وأصحاب النار في خلال ذكر الجنة والنار فقال: (مثل الجنة التي وعد المتقون)، وقال بعده: (كمن هو خالد في النار).

ولقصد زيادة تصوير مكابرة من يسوي بين المتمسك ببينة ربه وبين التابع لهواه، أي هو أيضًا كالذي يسوي بين الجنة ذات تلك الصفات وبين النار ذات صفات ضدها.

وفيه اطراد أساليب السورة إذا افتتحت بالمقابلة بين الذين كفروا والذين آمنوا، وأعقب باتباع الكافرين الباطل واتباع المؤمنين الحق وثلث بقوله: (أفمن كان على بينة من ربه)... إلخ.

وهذه الأصناف الخمسة المذكورة في الآية كانت من أفضل ما يتنافسون فيه ومن أعز ما يتيسر الحصول عليه، فكيف الكثير منها، فكيف إذا كان منها أنهار في الجنة، وتناول هذه الأصناف من التفكه الذي هو تنعم أهل اليسار والرفاهية. (التحرير والتنوير لابن عاشور).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# مصدر السعادة الحقيقية

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه. وبعد:

فلا يـزال الإنسانُ منذ القدم وبداية الخليقة يبحث عن السّعادة، ويتحرّى طرقها وكيفيّة تحقيقها، ويبذُل كل وسعه في ذلك، ساعيًا بكلّ ما لديه من عقلٍ وفكرٍ ومـادّة للوصول إليها، والحصول عليها. ويَختلفُ مفهوم السّعادة من شخص لآخر، فقد يُسعدُ الإنسانَ شيءٌ يُعدّ لدى غيره أمرًا هينًا، وقد يُعَد عند غيرهم جريمة، كما حـدث مع ابـن آدم الأول الـذي وجد سعادته في ألّا يَسعد غيره، وإن سَعِدَ فيجب التخلص منه ليصفو له جوّ التفرد، ومناخ العظمة، وللأسف؛ فلم يجد بعدها إلا الوهم والسراب، والندم والخراب.

قال الحق جل وعلا: « وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ » (سورة المائدة: ٢٧-٣١).

وقد تجد امـرأة حديثة عهد بالزواج أن السعادة مع زوجها أن تدخل وتخرج بأمرها لا بـأمره، وتطلب ما تشتهيه ولو بغير قـدرتـه، وتتصرف في أمـور داخـل البيت وخارجه بدون علمه، وتقرّر فُسَحها وزياراتها لأهلها ولصديقاتها بدون مشورته وإذنه، وإن اعترضَ على شيء من ذلك فهو متشدِّد أو متخلِّف وغير متفاهم وواقف في طريق سعادتها، وجو البيت خانق وهي مخنوقة.

وقد يرى آخرون السعادة في كثرة المال، وجمعه من حرام أو حلال، وهؤلاء قدوتهم قارون الذي لم يهنأ بماله ولا بحياته بعد أن خسف الله به وبماله وبـداره الأرض، وانتهت قصته وسعادته المزعومة إلى الأبد. ومن الشباب من يرى السعادة في تطويل شعره وتقليد بعض شواذ المشاهير في رسم شعورهم ولفت الأنظار إليهم ولو بما تشمئز منه النفوس. ومنهم... ومنهم.... ومنهم. وهكذا كثرت النظرات والمفاهيم إلى معنى السعادة وممارستها، واختلفت لأجلها التوجهات كاختلاف الأذواق.

وفي النهاية لا تـدوم هذه السعادة إن وُجـدت، بل تـزول مع الوقت، فهي مؤقتة ويكدرها نقصها أو ملل صاحبها منها، أو تفوق غيره عليه إلخ. ذلك أنَّ منبع هذه السعادة كان المادة وتغذية الجسد، وإشباع الغرائز، التي فُطرت على حب الشهوات، فإذا ما فقدت بعض شهواتها تحطمت تلك السعادة، وتحطم طالبها ومبتغيها.

### السعادة الدائمة الحقيقية:

تلك السعادة لاتجدها إلا عند من يملكها ويعطيها، ويهبها لطلابها ويأخذها إن شاء أو يبقيها. إنها فقط عند مَن له خزائن السموات والأرض، عند مَن يُطعِم

ولا يُطعَم، عند من يجير ولا يُجار عليه، عند مَن يملك الإسعاد، والإتعاس، والإضحاك والإبكاء؛ إنه الله رب العالمين. الذي قال جل جلاله: « وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ » (سورة النجم: ٤٣-٥٢).

إنه هو الذي أسعد وأشقى. كما قال: « فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ » (هود: ١٠٦). وقال: « وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا »(هود:١٠٨). وأسند الإسعاد في تعبير الآية إلى غيرهم « سُعدوا» ليبين أن الذي أسعدهم هو الله جل وعلا، وأسند الشقاوة إليهم كسبب «شقوا»؛ بالبناء للمعلوم ليبين أن المرء هو الذي يُشقي نفسه باتباع هواه وشهواته، وأن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والشقاء، وإن يشكروا يرضه لهم. وذلك على غرار الآية الشريفة التي قال الله تعالى فيها: « مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ »(النساء: ٧٩).

### سعداء حقيقيون

كان بعض أهل الجاهلية ينظر إلى الإسلام والقرآن على أنه أساطير الأولين، وينظر إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنه شاعر مجنون. وينظرون إلى أتباعه على أنهم ضعفاء الناس وأراذلهم. وكانت السعادة المزعومة لهؤلاء ممثلة في اتباع الهوى وعبادة الصنم. تلك العبادة لم تُشبع رغبتهم، ولم تقض نهمتهم، ولم تملأ فراغهم. واستدلوا على ذلك بأنفسهم لما أراد الله السعادة الحقيقية لهم. وتابِع معي هذه القصة:

يقول ابن هشام رحمه الله تعالى في سيرته: «كَانَ عَمْرو بْنُ الْجَمُوحِ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي سَلِمَةَ، وَشَرِيفًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ فِي دَارِهِ صَنَمًا مِنْ خَشَبٍ، يُقَالُ لَهُ: مَنَاةُ، كَمَا كَانَتْ الْأَشْرَافُ يَصْنَعُونَ، تَتَّخِذُهُ إلَهًا تُعَظِّمُهُ وَتُطَهِّرُهُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلِمَةَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَابْنُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو (بْنِ الْجَمُوحِ)، فِي فِتْيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ، كَانُوا يُدْلِجُونَ بِاللَّيْلِ (آخر الليل) عَلَى صَنَمِ عَمْرٍو ذَلِكَ، فَيَحْمِلُونَهُ فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ حُفَرِ بَنِي سَلِمَةَ، وَفِيهَا عِذَرُ (قمامة) النَّاسِ، مُنَكَّسًا عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرٌو، قَالَ: وَيْلَكُمْ! مَنْ عَدَا (اعتدى) عَلَى آلِهَتِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ، حَتَّى إذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاَللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ لَأُخْزِيَنَّهُ.

فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرٌو، عَدَوْا (اعتدوا على الصنم) عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَغْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ الْأَذَى، فَيَغْسِلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيِّبُهُ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إذَا أَمْسَى، فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ، اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمًا، فَغَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إنِّي وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ مَا تَرَى، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَامْتَنِعْ (أي دافِع عن نفسك)، فَهَذَا السَّيْفُ مَعَكَ.

فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرٌو، عَدَوْا عَلَيْهِ، فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ، ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبًا مَيِّتًا فَقَرَنُوهُ بِهِ بِحَبْلٍ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بِئْرٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سَلِمَةَ، فِيهَا عِذَرٌ مِنْ عِذَرِ النَّاسِ، ثُمَّ غَدَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ. فَخَرَجَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ مُنَكَّسًا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيِّتٍ، فَلَمَّا رَآهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ، أَسْلَمَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَحَسُنَ إسْلَامُهُ. فَقَالَ حِينَ أَسْلَمَ وَعَرَفَ مِنْ اللَّهِ مَا عَرَفَ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَنَمَهُ ذَلِكَ وَمَا أَبْصَرَ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ. (فهو الآن يكلم صنمه) يقول:

وَاَللَّهِ لَوْ كُنْتَ إلَهًا لَمْ تَكُنْ
أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ
أُفٍّ لِمَلْقَاكَ إلَهًا مُسْتَدَنْ

الآنَ فتّشناكَ عَنْ سُوءِ الغَبَنْ
الحَمْدُ للهِ العَليّ ذي المنَنْ
الواهبِ الرّزّاقِ ديّانِ الدّينْ
هُوَ الّذي أنْقذَني منْ قبْلِ أنْ
أكونَ في ظُلْمَةِ قبْرٍ مُرْتهَنْ

ومعنى الأبيات: يقول لصنمه: والله لو كنت إلهًا لم تكن مقترنًا بكلب ميت في بئر، في مَلْقَى ومقلب للقمامة إلهًا ذليلًا، والآن اكتشفنا أننا انخدعنا وساء حظنا فيك، فالحمد لله صاحب الدين الحق الذي أنقذني من ضلالتك قبل أن أحبس في ظلمة القبر لا ينفعني إلا الإيمان والعمل الصالح.

تلك هي السعادة التي لا تبلى ولا يكدرها لا فقر ولا فقد، ولا مرض ولا ضعف. بل هي عزاء وسلوى في كل مكروه وبلوى.

فعمرو بن الجموح رضي الله عنه عرف أن كل شيء غير الله هو لهو وعبث، وتفاخر كذاب، وزينة مزيفة لا سعادة فيها، ولو يفهم المفتونون بالدنيا حقيقة الأمر، لعرفوا أنها وهم وسراب، وفقر ودمار، لا يوصل إلا إلى النار.

قال الله تعالى شأنه: " ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ " (سورة الحديد: ٢٠).

عن عَائشَةَ رَضيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: " جَاءَتْ هنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْض منْ أَهْلِ خبَاءٍ أَحَبَّ إلَيّ أَنْ يَذلّوا منْ أَهْلِ خبَائكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْض أَهْلُ خبَاءٍ، أَحَبَّ إلَيّ أَنْ يَعزّوا منْ أَهْلِ خبَائكَ" (صحيح البخاري ح٣٨٢٥).

قال ابن حجر رحمه الله: "وَكَانَتْ هنْدُ لَمّا قُتلَ أَبُوهَا عُتْبَةُ وَعَمُّهَا شَيْبَةُ وَأَخُوهَا الْوَليدُ يَوْمَ بَدْرٍ شَقَّ عَلَيْهَا فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد وَقُتلَ حَمْزَةُ فَرحَتْ بذَلكَ وَعَمَدَتْ إلَى بَطْنه فَشَقَّتْهَا وَأَخَذَتْ كَبدَهُ فَلَاكَتْهَا ثُمَّ لَفَظَتْهَا فلَمّا كَانَ يَوْمُ الفَتْحِ ودَخَلَ أَبُو سُفْيَانَ مَكّةَ مُسْلمًا بَعْدَ أَنْ أَسَرَتْهُ خَيْلُ النّبيّ صَلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ تلْكَ اللّيْلَةَ فَأَجَارَهُ العَبّاسُ غَضبَتْ هنْدٌ لأجْل إسْلَامه وَأَخَذَتْ بلحْيَته ثُمّ إنّهَا بَعْدَ اسْتقْرَار النّبيّ صَلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ بمَكّةَ جَاءَتْ فَأَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ وَقَدْ تَقَدّمَ في أَوَاخر المَنَاقب أَنّهَا قَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ الله مَا كَانَ عَلَى ظَهْر الأَرْض منْ أَهْل خبَاء أَحَبَّ إلَيّ أَنْ يَذلّوا منْ أَهْل خبَائكَ، وَمَا عَلَى ظَهْر الأَرْض اليَوْمَ أَهْلُ خبَاء أَحَبّ إلَيّ أَنْ يَعزّوا منْ أَهْل خبَائكَ، فقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: " أَيْضًا وَالّذي نفسي بيَده) "فتح الباري لابن حجر ٩/ ٥٠٨). وقول النبي: "أيضًا وَالّذي نَفْسي بيَده". يعني أنه بنفس الإحساس والشعور.

- وكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْر فَتَى مَكّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا. وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحبّانه. وكَانَتْ أُمّهُ مَليئَةً كَثيرَةَ المَال تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ منَ الثّيَاب وَأَرَقّهُ. وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْل مَكّةَ، يَلْبَسُ الحَضْرَميّ منَ النّعَال. فَكَانَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ يَذْكُرُهُ وَيَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ بمَكّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لمّةً وَلا أَرَقَّ حُلّةً وَلا أَنْعَمَ نَعْمَةً منْ مُصْعَب بْن عُمَيْر». فَبَلَغَهُ أَنّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ يَدْعُو إلَى الإسْلَام في دَار أَرْقَمَ بْن أَبي الأَرْقَم فَدَخَلَ عَلَيْه فَأَسْلَمَ وَصَدّقَ به وَخَرَجَ فَكَتَمَ إسْلَامَهُ خَوْفًا منْ أُمّه وَقَوْمه. فَكَانَ يَخْتَلفُ إلَى رَسُول الله صَلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ سرًّا فَبَصُرَ به عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلّي فَأَخْبَرَ أُمّهُ وَقَوْمَهُ فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتّى خَرَجَ إلَى أَرْض الحَبَشَة في الهجْرَة الأُولَى ثُمّ رَجَعَ مَعَ المُسْلمينَ حينَ رَجَعُوا.(الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/ ٨٦).

فلماذا ضحى مصعب رضي الله عنه بهذا الرخاء والنعيم؟، لأنه عرف أنه ظل زائل، وطريق إلى النار إذا لم يكن معه إيمان وعمل صالح. فاختار السعادة الأبدية والنعيم المقيم، في جنة الخلد بجوار رب كريم.

والحمد لله رب العالمين.

# قصة النباتات التي أنبتها اللّه ليلة الإسراء والمعراج

إعداد **علي حشيش**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

### أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية -كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢- القصة كما سنبين من المتن جاء بها كيفية بدء نبات (الْكَبَر)، وهذا النبات كما بينه مجمع اللغة العربية في «المعجم الوجيز» (ص٥٢٥): «الكبر نبات معمر من الفصيلة الكبرية، ينبت ويزرع، وتؤكل سوقه مملحة، وتُستعمل جذوره في الطب». اهـ.

ولقد جاء بالقصة كيفية بدء نبات (الكبر) ما يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليلة عُرج بي إلى السماء بكت عليَّ الأرض، فأنبت الله من بكاء الأرض (الكبر) وهو (الأصَف)، فمن أراد أن يشم بكاء الأرض فليشم (الكبر)». اهـ.

قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٣٠/٥): «الكبر: الأصف، فارسي مُعَرَّب، والكبر: نبات له شوك». اهـ.

٣- ثم تستمر هذه المجازفات المنسوبة

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج كما سنبين في المتن حتى هبط النبي صلى الله عليه وسلم فينسب إليه أنه قال: «هبطت من سماء إلى سماء، فلما جزت إلى سماء الدنيا تصببت عرقًا، فانصب عرقي على الأرض فأنبت الله من عرقي الورد الأحمر؛ فمن أراد أن يشم عرقي فليشم الورد الأحمر». اهـ.

وهذه القصة الموضوعة في بدء خلق هذه النبات من الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذي سنكشف عاره ونبين عواره حتى يستبين أنه نقل غير صحيح.

٤- والأثر السيئ لهذا النقل غير الصحيح يفتح أبوابًا من أبواب التشكيك في السنة لوجود مثل هذه الأحاديث التي جاءت بها هذه القصص الواهية في بعض كتب السنة الأصلية، كما سنبين من تخريج هذه القصة، حيث يقوم بهذا التشكيك بعض الزنادقة خاصة في هذه الأيام؛ حيث يبث زنديق منهم سمومه من قناة فضائية خارجية، ويعرض على الناس مثل هذه القصص ولا يدري من جهله بالصناعة الحديثية، وكذلك بجهله بهذا العلم الذي جعله الله خصيصة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم يروج لكذب منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما فعله هذا الزنديق الذي مثله «كمثل الحمار يحمل أسفارًا».

في يوم السبت ٢٠٢١/١٢/٢٥م من قناة «الفادي» والتي تبث من أمريكا الشمالية، ويمتد بثها من أمريكا الشمالية إلى الشرق الأوسط، وسأبين أن القصص التي عرضها هذا الزنديق ليهزأ من خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم قصص واهية باطلة من وضع الكذابين والمجهولين، إن شاء الله رب العالمين.

٥- إنَّ العقل الصريح -المبني على الحقائق العلمية الثابتة- يكذب هذا النقل غير الصحيح كما هو ظاهر من الهندسة الوراثية المتصلة اتصالاً وثيقًا بعلم «السيتولجي»، وهو العلم الذي يبحث في دراسة الخلية التي هي وحدة التركيب في الكائنات الحية من حيوان ونبات، وتبين من المجهر «الميكروسكوب»، وظهر المجهر الإلكتروني، أن الله أعطى كل شيء خلقه، فالخلية في كل كائن لها نواة، والنواة بها عدد من «الكروموسومات»، وعلى كل «كروموسوم» عدد من «الجينات» التي تحدد الصفات التي تفصل كل كائن عن الآخر، تلك الحقائق العلمية التي يستبين منها أن نبات (الكبر) ليس من بكاء الأرض عندما عرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وأن من يشم الكبر يشم بكاء الأرض، وكذلك هذه الحقائق العلمية يتبين منها أن نبات الورد الأحمر ليس من عرق النبي عندما هبط من سماء إلى سماء الدنيا تصبب عرقًا، وأن من يشم الورد الأحمر يشم عرق النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- قد يظن من لا دراية له أن ذكر هذه الأسباب التي بها يستبين عدم صحة المتن أمر هين، ولكنه من أقوى الردود على مزاعم المستشرقين، ومنها مزاعم المستشرق «شاخت» الذي عمل أستاذًا زائرًا في الجامعة المصرية بالقاهرة عام ١٩٣٠م، ثم عاد إليها في سنة ١٩٣٤م، وعمل بها حتى سنة ١٩٣٩م، ومن مزاعمه ما ادعاه -جهلاً وبهتانًا- «بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن». اهـ. قلت: وهذا من جهله حتى بتعريف علم الحديث دراية؛ حيث قال السيوطي في ألفيته: «علم الحديث ذو قوانين تُحد.. يدرى بها أحوالُ متن وسند».

بل ولم يدر كتب الأئمة التي نقدت المتون،

ونبهت على أمور يعرف بها كون الحديث غير صحيح منها كتاب الإمام ابن القيم «المنار المنيف»: حيث بوَّب بابًا يتكون من عدة فصول عنون له، فقال: «التنبيه على أمور كلية يُعرَف بها كون الحديث موضوعًا». وجعل فصلاً تحت هذا الباب عنون له فقال: «منها أن يكون الحديث باطلاً في متنه فيدل بطلانه على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي الفصل (٦) جعل أول حديث فيه حول خلق الأشياء من العرق فقال:

كحديث: «المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش».

وبتطبيق هذا على متن هذه القصة الواهية، نقول:

وكحديث: «الورد الأحمر من عرق النبي صلى الله عليه وسلم الذي تصبّب منه ليلة الإسراء والمعراج عندما هبط من فوق سبع سماوات إلى سماء الدنيا، فمن أراد أن يشم عرقي فليشم الورد الأحمر».

وهذا هو التخريج والتحقيق:

## ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليلة عُرج بي إلى السماء بكت عليَّ الأرض؛ فأنبت الله من بكاء الأرض (الكَبر) وهو (الأصَف)، فمن أراد أن يشم بكاء الأرض فليشم (الكبر). فلما رفعت إلى ربي فحياني بالرسالة وفضَّلني بالنبوة، وأكرمني بالشفاعة، وفرض عليَّ الخمسين صلاةً، هبطت من سماء إلى سماء، فلما جُزت إلى سماء الدنيا تصببت عرقًا، فانصب عرقي على الأرض فأنبتت الأرض من عرقي الورد الأحمر، فمن أراد أن يشم عرقي، فليشم الورد الأحمر».

## ثالثًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه الرافعي في «تاريخ قزوين» (٣٢٧/٢) ط. دار الكتب العلمية بيروت من طريق أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري بسنده عن إسماعيل بن علي بن قدامة الخزاز القزويني، حدثنا أحمد بن عبدان البردعي حدثنا سهيل بن صقير، حدثنا موسى بن عبد ربه سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: .. فذكره. وقال: «أخرجه المستغفري في كتاب «طب النبي صلى الله عليه وسلم» هذا آخر حديث من الكتاب». اهـ. وأورده الإمام السيوطي في «اللآلئ» (٢٧٦/٢)، وقال: «قال أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري في كتاب «الطب النبوي» بسنده هذا وسكت عنه.

## رابعًا: التحقيق:

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة موضوع كذب مختلق مصنوع علته: سهل بن صقير. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٥٨١/٢٣٨/٢): «سهل بن صُقير أبو الحسن الخلاطي قال الخطيب: «يضع الحديث». اهـ. ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٢٣/٤) أن أبا بكر الخطيب قال: «سهل بن صقير يضع الحديث». اهـ. فالخبر باطل موضوع.

٢- وسرق هذا الحديث الحسن بن علي العدوي كما بيَّن ذلك الإمام ابن عدي في «الكامل» (٣٣٨/٢) (٤٧٤/١٠٥). وقال: يضع الحديث. ويسرق الحديث ويلزقه على قوم آخرين، وجعل لذلك بابًا أخرج فيه هذا الحديث من حديث علي رضي الله عنه مختصرًا، وقال: «هذا موضوع على أهل البيت». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

# درر البحار
## في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

**٩٥١- «سيكون بعدي سلاطين، الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل لا يعطون أحدًا شيئًا إلا أخذوا من دينه مثله».**

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص٤٥/٢)، مكتبة الحرم النبوي (الحديث) رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «ك: عن عبد الله بن الحارث بن جزء». قلت: «ك» ترمز إلى «المستدرك» للحاكم، وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين حديث موضوع كذب مختلق مصنوع.

فالحديث أخرجه الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في «المستدرك» (٦٣٣/٣، ٦٣٤) قال: أخبرنا أبو جعفر البغدادي، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا حسان بن غالب، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي زرعة عمرو بن جابر عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: سيكون بعدي سلاطين...» الحديث.

وعلته: حسان بن غالب، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٧١/١): «حسان بن غالب شيخ من أهل مصر يقلب الأخبار، ويروي عن الأثبات الملزقات لا يحل الاحتجاج به بحال، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار». ونقل الإمام الذهبي قول الإمام الحافظ ابن حبان وأقره في «الميزان» (١٨١٠/٤٧٩/١).

وعلة أخرى: عبد الله بن لهيعة: قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢/٢): «قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودًا، وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثير، فرجعت إلى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضَعفى عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فالتزقت تلك الموضوعات به». اهـ.

قلتُ: ولهذا ذكره الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في أدنى المراتب: وهي المرتبة (الخامسة) رقم (١٢) مع عنعنته، فالسند تالف والحديث موضوع.

**٩٥٢- «من سرّح رأسه ولحيته بالمشط في كل ليلة عُوفي من أنواع البلاء، ويزيدُ في عمره».**

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٧١/١) قال: أخبرناه محمد بن المسيب حدثنا محمد بن نصير الفارسي، حدثنا حسان بن غالب أخبرني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب مرفوعًا، ومن هذا الطريق أخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٥٣/٣) عن محمد بن المسيب به، وعلته حسان بن غالب الذي لا يحل الاحتجاج به بحال ولا الرواية عنه كما بينا آنفًا، لذلك قال الإمام ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع والبلاء فيه من حسان بن غالب المصري». اهـ.

**٩٥٣- «الأنصارُ أحبائي، وفي الدِّين إخواني، وعلى الأعداء أعواني».**

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن أبي عاصم المتوفى (٢٨٧هـ) في كتابه «الآحاد والمثاني» (٣٦٩/٣) (ح١٧٧) ط. الراية بالرياض، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا أبو قرة محمد بن حميد الدعيني، حدثنا حسان بن غالب، حدثنا ابن لهيعة، عن عقيل، عن الزهري، عن أنس مرفوعًا، ومن طريق حسان بن غالب أخرجه الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٨٥/١) (ح٤٦٠)، وذكر هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (١٨١٠/٤٧٩/١) من طريق حسان بن غالب، وقال: «هذا الحديث من مصائبه»، وهو علة هذا الحديث، ولا يحل الاحتجاج به بحال ولا الرواية عنه كما بينا آنفًا، ونقل هذا الحديث الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢٣٨/٢) (٢٣٨١/٢٢٠) عن الإمام الذهبي وأقره، وزاد أن الأزدي قال: حسان بن غالب منكر الحديث، وقال الدارقطني: ضعيف متروك». اهـ.

الحلقة 5

## نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

# عقيدة الأئمة الأربعة في توحيد الأسماء والصفات

## أولاً: معتقد الإمام أبي حنيفة النعمان ت سنة ١٥٠هـ

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإنه ليحلو لكثير ممن هم على أيٍّ من مذاهب الأئمة الأربعة أن يتشبثوا بعقيدة التعطيل بالتأويل الباطل، لمجرد أن بعضًا من المنتسبين فيما سبق حاد عن طريقهم، وطفق يتبع هواه ويسلك سبيلاً غير سبيلهم، أو ادَّعى على أولئك الأئمة أو علي أيٍّ منهم أنهم كانوا كذلك في التعطيل والتأويل والتفويض.. وهذه فرية ما بعدها فرية!، ومَن شك في أن جميعهم كان على مذهب الصحابة ومن تبعهم بإحسان؛ فليطالع: (أصول البزدوي) و(مرقاة المفاتيح) و(روح المعاني) و(الفقه الأبسط) و(شرح الطحاوية) و(الجواهر المنيفة في شرح وصية الإمام) و(ذم الكلام) و(الصفات) و(الشريعة) و(الاعتقاد) و(التمهيد) و(عقيدة السلف أصحاب الحديث) و(الفتح) و(ترتيب المدارك) و(آداب الشافعي) و(الحلية) و(السنن الكبرى) و(الأسماء والصفات) و(شرح السنة) و(العلو) و(مختصر العلو) و(مجموع الفتاوى) و(الرسالة) و(الانتقاء) و(ذم التأويل) و(الطبقات) و(اجتماع الجيوش) و(كتاب المحنة) و(مناقب الشافعي) و(السنة) و(سير أعلام النبلاء) و(تهذيب التهذيب) و(مناقب الإمام) و(درء تعارض العقل والنقل) و(طبقات الحنابلة) و(شرح أصول اعتقاد أهل السنة) إلى غير ذلك مما جادت به قرائح مصنفي كتب العقائد وأئمة التفسير والحديث والفقه والأصول، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

ومن يتأمل ذلك من مخالفيهم المتعصبين، فسيرى بنفسه أن أصحاب التأويل في واد وأئمة المذاهب في واد آخر، وأن ليس كل من انتسب إلى الإمام أبي حنيفة وبقية أئمة أهل السنة والجماعة يعدُّ موافقًا لهم في أصول الدين وفروعه، بل هناك من كبار المبتدعة من انتسب إلى الإمام أبي

حنيفة. وأبو حنيفة بريء منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب. فبالمقارنة مثلاً بين أبي حنيفة وأبي منصور الماتريدي، يظهر: أنهما مختلفان في المنهج، متباعدان في التطبيق في كثير من مسائل الاعتقاد. فلم يكن الماتريدي ولا أتباعه على منهج الإمام أبي حنيفة في الاعتقاد البتة، وإن انتسبوا إليه في الفروع.. وأن ليس من منهج أبي حنيفة نوعٌ من التشبيه أو التعطيل، وكذلك لا يوجد في كلام الإمام تفويض مطلق، بل الذي في كلام أبي حنيفة تفويضٌ مقيّدٌ بنفي العلم بالكيفيّة فقط لا المعنى، فقد أثبت الإمام جميع الصفات: ذاتيّة كانت أو فعليّة بدون تأويلٍ، أو تحريفٍ، وظلّ ملتزمًا بمنهجه هذا أثناءَ التطبيق: فأبى أن يُؤوِّل (اليد) بـ(القدرة أو النعمة)، و(الرضا) بـ(الثواب)، و(الغضب) بـ(العقاب).

ما يعني: أن عقيدة الأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، اعتقاد واحدٌ في أصول الدين، وكلهم على ما سنذكر: يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.. وينفون عنه ما نفاه عن نفسه فيهما..

ولنبدأ بما دان الله به أبو حنيفة رحمه الله.

### أ) نبذة مختصرة عن الإمام أبو حنيفة:

هو: النعمان بن ثابت الكوفي العربي الأرومة، العالم والفقيه المسلم الأصل والديانة، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وهو صاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي، وهو من اشتهر بعلمه الكثير وأخلاقه الحسنة. نشأ الإمام أبو حنيفة في بيئة مليئة بالعلم والعلماء وبدأ منذ الصغر يحاجج جميع المجادلين، وقد انصرف عن مهنة التجارة لطلب العلم، فصار يذهب إلى العديد من حلقات العلماء واتجه إلى دراسة الفقه، وهذا بعد أن استعرض العديد من العلوم التي يتم معرفتها في هذا الوقت، وكان ملازمًا لشيخه حماد بن أبي سليمان يتعلم منه الفقه حتى مات حماد سنة ١٢٠هـ، وتولى هو مكانه الرئاسة الخاصة بحلقة الشيخ حماد في مسجد الكوفة، وجعل يدرس وتُعرض عليه الفتاوى، فكان أن وضع هذه الطريقة الفقهية التي حصل منها على المذهب الحنفي.. وكان زاهدًا ورعًا، أراد يزيد بن هبيرة أمير العراق، أيام مروان بن محمد أن يلي القضاء فأبى، وأراده بعد ذلك المنصور العباسي على القضاء فامتنع، فحبسه المنصور إلى أن مات سنة ١٥٠هـ.

### ب) عقيدة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان.. في توحيد الصفات:

١-يقول -رحمه الله- في الفقه الأبسط ص ٥٦: "لا يُوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، و(غضبه) و(رضاه) صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى ولا يقال: (غضبه): عقوبته، و(رضاه): ثوابه.. ونصفه كما وصف نفسه؛ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، حي قادر سميع بصير عالم، ويده ليست كأيدي خلقه، ووجهه ليس كوجوه خلقه" ا.هـ.

٢- ويقول بنفس المصدر ص ٥١ مثبتًا صفه العلو: "والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل، لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء".

٣- ويقول كما في الفقه الأكبر ص ٣٠٢: "وله (يد) و(وجه) و(نفس) كما ذكره في القرآن، فما ذكره تعالى في القرآن، من ذكر (الوجه) و(اليد) و(النفس) فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال" ا.هـ.

٤- وقال بنفس المصدر: "قد كان سبحانه متكلمًا ولم يكن كلم موسى عليه السلام"، يعني: أزلاً ومن قبل أن يكلمه.

٥- ويقول - كما في شرح الطحاوية ص ٢٥٣ وجلاء العينين ص ٣٦٨ - "لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئًا تبارك الله ربّ العالمين".

٦- وكان أن سُئل عن النزول الإلهي، فقال: "ينزل بلا كيف" كذا في (عقيدة السلف) للصابوني ص٤٢، و(الأسماء والصفات) للبيهقي ص٤٥٦، و(شرح الطحاوية) ص١٦٤، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص٦٠.

٧-ومن آثار الإمام أبي حنيفة قوله كما في (الفقه الأكبر) ص ٣٠١: "ولا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته".

٨- وقوله بنفس المصدر ص ٣٠٢: "وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا".

٩- وقوله بنفس المصدر ص ٣٠١: "وصفاته ذاتية وفعلية، أما الذاتية: فـ (الحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة)، وأما الفعلية فـ (التخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع) وغير ذلك من صفات الفعل؛ لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته)".

١٠- ويقول بنفس المصدر: "ولم يزل فاعلاً بفعله.. فالفاعل هو الله تعالى، والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق".

١١- وقال بنفس المصدر: "من وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر".

١٢- وكان يقول: "من قال: (لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، لأن الله يقول: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) (طه: ٥)، وعرشه فوق سبع سماواته.. وكذا من قال: (إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض؟)، لأنه أنكر أنه في السماء، ومن أنكر أنه في السماء فقد كفر"، وينظر في هذا: الفقه الأبسط ص٤٦، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٨، واجتماع الجيوش ص١٣٩، والعلو للذهبي ص١٠١، ١٠٢، والعلو لابن قدامة ص١١٦، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٣٢.. وكان الأخير قد علق بقوله: "ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف المعتزلة وغيرهم وهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته".

١٣- وقال للمرأة التي سألته: (أين إلهك الذي تعبده؟).. قال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض)، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: «وَهُوَ مَعَكُمْ» (الحديد: ٤)؟: قال: (هو كما تكتب للرجل: إني معك وأنت غائب عنه)" ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ص٤٢٩.

١٤- وللإمام أبي حنيفة قوله في رد عادية المعتزلة ومن ورائهم الأشعرية: "والقرآن غير مخلوق" كذا في الفقه الأكبر ص٣٠١.. ومعلوم أن الأشعرية على أنه كلامه تعالى نفسي، منزه - بزعمهم - عن اللفظ والحرف والصوت، وأنه تعالى خلقه في اللوح المحفوظ وألهمه جبريل الذي نزل به على محمد عليهما السلام، فهو من كلام أحدهما، عياذًا بالله من هذا الضلال.

١٥- وله - رحمه الله - قوله: "ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى، غير مخلوق" جاء ذلك في (الجواهر المنفية في شرح وصية الإمام) ص١٠.

١٦- وقوله: "ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة" كذا في شرح الوصية ص١٠.

١٧- ويقول البزدوي الحنفي ت٤٨٢ في كتابه (كنز الوصول إلى علم الأصول) ص٣ يقول: "العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الشرائع والأحكام.. والأصل في النوع الأول، هو: التمسك بالكتاب والسُّنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا وكان على ذلك سلفنا: أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وعامة أصحابهم. وقد صنف أبو حنيفة في ذلك كتاب (الفقه الأكبر)، وذكر فيه إثبات الصفات" ا.هـ.

١٨- ويقول الملاّ علي القاري - بعد ذكره قول الإمام مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول...) -: "اختاره إمامنا الأعظم أبو حنيفة، وكذا كل ما ورد من الآيات والأحاديث، من ذكر: (اليد) و(العين) و(الوجه) ونحوها من الصفات.. فمعاني الصفات كلها معلومة، وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذ تعقل الكيف: فرع العلم لكيفية الذات وكنهها؛ فإذا كان ذلك غير معلوم: فكيف يعقل لهم كيفية الصفات؟.. كذا ذكره في (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) ٨/ ٢٥١.

١٩- ويقول الألوسي الحنفي في تفسيره (روح المعاني) ٦/ ١٥٦: "أنت تعلم أن طريقة

كثير من العلماء الأعلام وأساطين الإسلام: الإمساك عن التأويل مطلقًا مع نفي التشبيه والتجسيم.. منهم الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، والإمام الشافعيُ، ومحمد بن الحسن، وسعد بن معاذ المروزي، وابن المبارك، وابن راهويه، والبخاري، والترمذي، وأبو داود السجستاني" ا.هـ

### جـ: معتقد أبي حنيفة النعمان في توحيد الألوهية:

ونذكر مما ورد من عباراته – في رد عادية الأشعرية والصوفية من عبّاد الأضرحة المتوسلين بمن فيها – قوله:

١- "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: ما استفيد من قوله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) (الأعراف: ١٨٠)" كذا في الدر المختار من حاشية المختار ٦/٣٩٦- ٣٩٧.

٢- وكان يقول: "يكره أن يقول الداعي: (أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام)" ينظر شرح العقيدة الطحاوية ٢٣٤، وإتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٥، وشرح الفقه الأكبر للقاري ١٨٩.

٣- ويقول: "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول الداعي متوسلاً: (بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك)" كذا في التوسل والوسيلة ص ٨٢، وشرح الفقه الأكبر ص ١٩٨.

### د: وفي النهاية فلأبي حنيفة ما له وعليه ما عليه:

وكما قيل: فـ(إن لكل عالم هفوة)، فأبو حنيفة -مع عظم علمه ورفعة شأنه- هو في النهاية: بشرٌ يخطئ ويصيب، وفي كلا الحالين مأجور بإذن الله.. وما أخذ عليه في مسألة: (جواز زواج البكر دون ما اشتراط لولي الأمر) – مخالفًا بذلك صريح النصوص – قد ردَ عليه فيها أعلام الهدى، بل وجعلوا منها بندًا يُدرج في كثير من الأحيان ضمن عقائد المسلمين، ومجيء ذلك في مسائل الاعتقاد، أظهر عدم الاعتداد بهذا الخلاف وقضى ببطلان وعدم صحة أن تُزوِّج المرأة نفسها ولا غيرها، وأنه لا ينعقد بعبارتها، وأنه يشترط الولاية لصحة وإتمام عقد النكاح، لإجماع الصحابة ولتوافر الأدلة من القرآن والسنة.

ثم هو بعدُ، قد أبرأ ذمته ممن أخذ أو يأخذ – في هذه المسألة أو غيرها – برأيه المخالف للإجماع ولما وردت به النصوص، وأخلى نفسه من تحمل التبعة، وذلك قوله: "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذنا"، وقوله: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي"، وزاد في رواية: "فإنا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا"، وقوله: "إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله وخبر الرسول فاتركوا قولي".

وعلى نحو ما وقف ضده الواقفون فيما ليس له عليه دليل، ذب عنه الذابُون فيما نسب إليه ظلمًا، أو فُهم عنه بغير ما قُصد منه إليه، فقد أثير حوله اللغط في قضية: (نفي الجهة عن الله) المستلزم لنفي علوه تعالى، يقول شارح الطحاوية ١٦٣: "وفي ثبوت هذا الكلام عن الإمام أبي حنيفة نظر"، ذلك أنه كان يروم نفي ما استلزم تعطيل صفة علوه سبحانه، و"أن الله تعالى منزه عن أن يحيط به شيء من مخلوقاته.. وقد نقل أبو مطيع البلخي – أحد كبار أصحابه وفقهائهم – عنه إثبات العلو"، ثم ما لبث أن ذكر ابن أبي العز فيما بعد، كلامه في ذلك.

كما طفق شارح الطحاوية ينافح عن أبي حنيفة في قضية: (مسمى الإيمان)، وفي قصره إياه على: (التصديق بالقلب والنطق باللسان) دون العمل بالجوارح وهو ما يراه المرجئة، وجعل يذكر أن "الاختلاف بينه وبين الأئمة الباقين من أهل السنة، صوري.. فإن كون أعمال الجوارح لازمَ إيمان القلب أو هي جزءً منه، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيئة الله، نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد عقيدة.. ولا خلاف بين أهل السنة أن الله أراد من العباد القول والعمل".

وتبقى عقيدة أهل السنة المجمع والمستدل عليها بالنصوص، هي: الفيصل في النهاية. والحمد لله رب العالمين.

# «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ»

إعداد الشيخ: عبده أحمد الأقرع

الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين، وأصلي وأسلم على جميع الأنبياء والمرسلين. وبعد:

فلا تكاد مجالس كثير من الناس تخلو من الحديث عن مسألة الرزق والخوف من المستقبل، وهذا ينافي عقيدة المؤمن؛ لأن من عقيدة المؤمن أن يؤمن إيمانًا جازمًا لا ريب فيه أن الله وحده هو الرزاق. أي: المتكفل بأرزاق العباد، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها؟ قال تعالى: «وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا» (هود: ٦)، ويبيِّن سبحانه أن الرزق مكتوب في السماء وهو وعد الله وحكمه في القضاء قبل أن يكون واقعًا مقدورًا في الأرض. فقال سبحانه: «وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» (الذاريات: ٢٢)، ثم أقسم عز وجل بربوبيته على ذلك فقال سبحانه: «فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ» (الذاريات: ٢٣).

والمعنى: أي أقسم برب السماء والأرض: إن ما توعدون به من الرزق والبعث والنشور لحق كائن لا محالة مثل نطقكم، فكما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون فكذلك يجب ألا تشكوا في الرزق والبعث. وهذا على سبيل التشبيه والتمثيل أي رزقكم مقسوم في السماء كنطقكم فلا تشكوا في ذلك. وهذا كقول القائل: هذا حق كما أنك هاهنا، وهذا حق كما أنك ترى وتسمع.

فالرزق لا يفارق الشخص في حال من الأحوال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله». (صحيح الجامع ١٦٣٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لو فرَّ أحدكم من رزقه، أدركه كما يدركه الموت». (صحيح الترغيب ١٧٠٤). وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى تمرة عائرة؛ أي: «ساقطة لا يُعرف لها مالك»، فأخذها فناولها سائلاً، فقال: «أما أنك لو لم تأتها لأتتك». (صحيح الترغيب: ١٧٠٥).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الناس فقال: «هلموا إليّ». فأقبلوا إليه فجلسوا، فقال: «هذا رسول رب العالمين، جبريل عليه السلام نفث في رُوعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته». (صحيح الترغيب ١٧٠٢). فالأرزاق مقسومة ولن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله.

ولما قالت أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأبي سفيان وبأخي معاوية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا

وأفضل». (مسلم: ٤/ ٢٠٥٠).

وفي هذا بيان أن الذي قدره الله من الرزق والأجل سيكون في الوقت الذي قدره الله سبحانه وتعالى قبل أن نخلق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة، مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتك: يكتب رزقه وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد». (صحيح البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣).

فالمتفرد بالرزق هو الله وحده لا شريك له، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ» (فاطر: ٣).

وقال تعالى: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ» (سبأ: ٢٤).

وأنكر الله تعالى على المشركين عبادتهم للأوثان فقال تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» (النحل: ٧٣).

وتحدّى سبحانه أي مخلوق أنه يصله رزقه من غيره سبحانه وتعالى، فقال تعالى: «أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ» (الملك: ٢١).

وقال تعالى في إبطال الشرك: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (الروم: ٤٠).

وقال تعالى: «وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (العنكبوت: ١٦، ١٧).

فالله وحده متكفل برزق جميع المخلوقات قال تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ» (العنكبوت: ٦٠).

والمعنى: أي: لا تطيق جمعه ولا تحصيله، ولا تدخر شيئًا لغد، «اللهُ يَرْزُقها». أي: يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض والطير في الهواء، والحيتان في الماء. (تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٢٠).

ولما كان هذا هو الحق الذي لا ريب فيه فعلى الجميع أن يثقوا ويطمئنوا، بما عند الله من الرزق وأنه من المحال أن يؤثر رزق أحد على آخر، ويثق الوالدان أن الله تعالى تكفل برزقهما ورزق أبنائهما. فقال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ» (الأنعام: ١٥١).

ثم إن الله تعالى لم يختصَّ برزقه مَن آمن في الحياة الدنيا، وإنما كان الرزق في الدنيا للجميع، للمؤمنين والكافرين، وهذا من عظيم لطفه ورحمته بجميع خلقه. قال تعالى: «اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» (الشورى: ١٩). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم». متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ٥١١)، ومسلم (٤/ ٢١٦٠).

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن فاوت بين خلقه في الرزق كما فاوت بينهم في الخَلق والخُلق، وهو سبحانه العليم الحكيم فهو أعلم بما يُصلح خَلقه، فمن الناس من لا يصلحه إلا الفقر ولو اغتنى لفسد، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى، ولو افتقر لفسد، قال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» (الإسراء: ٣٠).

وقال تعالى: «وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» (الشورى: ٢٧).

وليس الغنى علامة للسعادة والرضا، وليس الفقر علامة للشقاوة والسخط، وإنما علامة السعادة والاستقامة على طاعة الله والثبات على صراط الله المستقيم، فالمال يعطي للبر والفاجر. قال الله تعالى: «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» (الزخرف: ٣٣-٣٥).

وقد ظن الكفار والمترفون أن كثرة الأموال والأولاد دليل على محبة الله لهم. قال الله تعالى عنهم: «وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (سبأ: ٣٥-٣٦).

أما المؤمن فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب، تخافون عليه». (صحيح الجامع: ١٨١٤).

فعليك بالرضا تكن أغنى الناس، قال صلى الله عليه وسلم: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس». (صحيح الجامع: ١٠٠).

وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم آمنـا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». (صحيح الجامع: ٦٠٤٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه». (صحيح مسلم ١٠٥٤).

ومما يعينك على الرضا أمور: منها: يقينك أن الله تعالى وحده المتكفل بالرزق كما قال سبحانه: «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ» (فاطر: ٣).

ولم يمكن رب العزة سبحانه أي مخلوق مهما كان أن يتحكم في رزق الخلائق، قال جل شأنه وعظم سلطانه وتقدست أسماؤه: «قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا» (الإسراء: ١٠٠).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه». صحيح البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣/ ١٣٦). وهذا يدل على سعة مُلكه سبحانه ويدل على كرمه وجوده كما قال عز وجل: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر». (صحيح مسلم: ٢٥٧٧).

وهذا من باب المبالغة في عدم النقص؛ لأن كل واحد يعلم أنك لو أدخلت المخيط وهو الابرة في البحر ثم أخرجتها فإنها لا تنقص البحر شيئا، فكذلك لو أن أول الخلق وآخرهم وانسهم وجنهم سألوا الله عز وجل وأعطى كل إنسان مسألته مهما بلغت فإن ذلك لا ينقص ما عنده سبحانه وتعالى إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر.

فلم الخوف ولم الهلع؟! فثق بأن رزقك الذي قدّره الله لك لا يمنعه عنك مانع ولن يأخذه غيرك، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». صحيح البخاري (٦٦١٥)، ومسلم (٥٩٣).

ومع هذا فقد أمر الله عز وجل بالسعي على الرزق فقال سبحانه وتعالى: «هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ» (الملك: ١٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو إنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا». (صحيح الجامع: ٥٢٥٤).

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإنسان الذي يسعى على رزقه فهو في سبيل الله. فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من جَلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان». (صحيح الترغيب ١٦٩٢).

وأعظم رزق يرزق الله به عباده هو (الجنة) التي فيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: «وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا» (الطلاق: ١١). فهو أحسن الرزق وأكمله وأفضله وأكرمه، لا ينقطع ولا يزول.

اللهم يا رزاق ارزقنا خيري الدنيا والآخرة.

الحمد لله العليّ العظيم، ذي الوجه الكريم، والسلطانِ القديم، خلق فسوّى، وقدّر فهدى، يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا، وما بين ذلك، وهو الفتّاح العليم. وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، البرُّ الرؤوفُ الرحيمُ، وأشهد أنّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، وصفيُّه وخليلُه، وخيرتُه منْ خلقه، بلّغ رسالةَ ربه، وأدّى أمانته، وتركنا على المحجّة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ ذميمٌ، فصلّى اللهُ وبارَك عليه، وعلى آلِ بيتِه الطيبينَ الطاهرينَ، وعلى أزواجه أمهاتِ المؤمنينَ، وعلى أصحابه الغرِّ الميامينَ، وعلى منْ تبعَهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

# بر الوالدين

## حسنات وبركات

إعداد **الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم**

إمام وخطيب المسجد الحرام

أما بعدُ: فيا أيها الناس: اتقوا الله حقَّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا الذنوبَ والعقوقَ والمعاصي، فإن أبدانكم على النار لا تقوى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) (الحشر: ١٨).

عباد الله: إنَّ ثمة حقًّا بشريًا عظيمًا، له من الهيبة والوقار ما ليس لغيره، إنه حقٌّ لا منّةَ فيه لمَنْ أدّاه، ولا براءة من اللوم والسوء لمَنْ تهاون فيه، وإنه لا أقبحُ فيه بين الناس منْ حور بعد كور، ولا من نقض بعد غزل، ولا أشدَّ مضاضةً فيه من نكران تجاهَ جميل، ولا غدر تجاه وفاء، ولا غلظة تجاهَ رحمة، ولا عقوق تجاه برٍّ، بل إنه لا أخسرُ من امرئ يُفتح له بابٌ من أبواب الجنة فيأبى وُلوجه بمحض إرادته، بل يقف دونه مستنكفًا، ثم يستدير، فيتخذه وراءه ظهريًا، نائيًا بنفسه عن ولوج ما فيه سر فلاحه وسعادته في دنياه وأخراه: إنه بر الوالدين-عباد الله- الذي هو بابٌ من أبواب الجنة، مشرَعٌ للإحسان إليهما، ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف، والبذل، وخفض جناح الذل لهما من الرحمة.

الأبوان-عباد الله- هما للأولاد في مهامه دنياهم، كالشمس والقمر، بهما يستضيئون دروبهم، ويؤنسون وحشتهم، ويستلهمون سلوتهم، فهما كما قال يوسف لأبيه عن رؤياه: ( إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) (يُوسُف: ٤)، فكأن الأب شمسٌ؛ لما يبذله من الكدح والكسب لولده في النهار، وكأنَّ الأمَ قمرٌ؛ لما توليه من سهر له وشفقة عليه في الليل.

وإن من مؤكدات سعادة المرء في دنياه: أن يدرك

أبويه على قيد الحياة؛ لينهل من معين برِّهما، ويرتوي من كيزان حنانهما، ويستظل بفيء رضاهما، فهما جناحاه في جوِّ الدنيا، وزخرفها الفانية، وهما موئله الحاني حين تعترضه مواجعُ الحياة وأكدارُها، فإن الشيب الذي يراه وخط أبويه إنما يلخص له قصة النعيم الذي يعيشه في حاضره، إنهما مَنْ شقيا ليسعد، ومَنْ نصبا كي يستريح، إنهما ليسهران لأجل أن يرقد، ويخافان ليطمئن، وترتعد فرائصهما، ويحتبس دمعهما حين يخرج، فلا يرتدُّ إليهما الأمنُ إلا حين عودته.

الأبوان-عباد الله- هما من يبكيان ليبتسم أولادُهما، وهما مَنْ يحزنان ليفرح أولادهما، إنهما اللذان يجوعان ليشبعوا، ويعطشان ليرتووا، إنهما-في الحقيقة- كتلكم الشمعة التي تحترق حتى تذوب ليستضيء الأولاد باحتراقها، إنه قلب الأم، والله-جل وعلا- يقول: ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ) (القصص: ١٠)، وإنها عين الأب، والله-جل شأنه- يقول ( وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ) (يوسف: ٨٤).

إنها غاية المشاعر الجيَّاشة، والعواطف النابضة، أن يفرغ قلبُ الأم، وأن تبيضَّ عينُ الأب لأجل أولادهما: ( فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) (الإسراء: ٢٣-٢٤).

فيا لله ما أسعدَ مَنْ مات عنه أبواه أو هو مات عنهما وهما عنه راضيان، لله ما أسعدَه وما أهناه، ولله ما أحسنَ ما جاء عن إياس بن معاوية أنه لما ماتت أمه بكى عليها بكاء شديدًا، فلما سئل قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة، فأُغلق أحدُهما.

ثم يا لله ما أخيب من ماتا عنه أو مات عنهما، وهما عليه غاضبان، ألا ما أضله وما أخسره، بعدًا له وسحقًا، فإن الله قد قرن الإحسان بهما مع عبادته فقال: ( وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) (النساء: ٣٦).

وقرن شكرهما مع شكره فقال: ( أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ) (لقمان: ١٤)، بل إن الله-جل وعلا- جعل بر الوالدين من أسباب قبول العمل، والتجاوز عن السيئات، كما قال في كتابه: ( وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ) (الأحقاف: ١٥-١٦).

وقد قال الفاروق-رضي الله عنه- لأويس القرني: «سمعتُ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر...» الحديث، إلى أن قال: «له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل». فاستغفر لي فاستغفر له»(رواه مسلم).

إن الفؤاد إذا لامس شغافه برُّ الوالدين كان له حصنًا منيعًا من الكبر والغلظة والعقوق والنكران، فإن البر طبع متين، طاردٌ لخصال السوء والسفساف، فما رأى الناس بارًا خبيث الطبع، ولا رأوا خبيثًا بارًا؛ وقد أحسن الخليفة الراشدُ عمرُ بن عبد العزيز حين قال لابن مهران: «لا تصاحب عاقًا؛ فإنه لن يقبلك وقد عقَّ والديه»، ولا عجب-عباد الله- فإن الله-جل شأنه- جعل الشقاء والجبروت مضادين للبر بالوالدين، كما في قوله عن يحيى-عليه السلام-: ( وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ) (مريم: ١٤)، وكما في قوله عن عيسى-عليه السلام-: ( وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ) (مريم: ٣٢).

إنه لن يحبك أحدٌ كحب والديك لك؛ إنهما يأخذان من نفسيهما ليمنحانك، نعم قد لا يمنحانك كلَّ شيء تريده، لكنهما-دون ريب- قد منحاك ما يملكانه.

إذا علم ذلكم-عباد الله- فإن البرَّ أمانةٌ يحملها الأولاد على عاتقهم ما داموا أحياء، فالبرُّ لا يهرمُ ولا ينبغي له أن يهرم، بل لا تزيده الأيامُ والسنون إلا جمالاً وصلابة وتجددًا، فبرُّ الوالدين ينبغي أن يكون شابًا لا يشيخ، وإن شاخ الآباء والأولاد، ولا ينبغي أن يكون عبئًا ثقيلاً يتقاسمه الأولاد بينهم تقاسمًا وظيفيًا، خروجًا من المسؤولية وانسلالاً من التبعية، وإنما البر-في الحقيقة- دِينٌ ودَينٌ،

فهو سباق دينيَ أخرويّ يتلذذ به البارُّ ليُفضي به إلى باب من أبواب الجنة، وكذاك هو وفاء دين دنيوي، يقضي به المرء ما في ذمته لوالديه من معروف، وإنه مهما قضى من ذلكم المعروف فلن يوفيهما حقهما بالغًا ما بلغ من الجهد والبر، فقد رأى عبد الله بن عمر-رضي الله تعالى عنهما- رجلاً من أهل اليمن حمَل أمّه على عنقه، فجعل يطوف بها حول البيت، وهو يقول:

إني لها بعيرُها المذلَّل
إن أُذعرت ركابُها لم أُذعر

الله ربي ذو الجلال الأكبر، حملتها أكثر مما حملتني فهل ترى جازيتها يا ابن عمر؛ قال: «لا، ولا بزفرة من زفراتها»؛ يقصد زفرات الولادة.

لقد ضرَب لنا سلفنا الصالحُ أروعَ الأمثلة في البرْ بالوالدين، حتى إن أحدَنا ليحقر برَّه أمام برهم، وإن من برهم بوالديهم ما جاء عن أسامة بن زيد: «فقد كانت النخلة تبلغ بالمدينة ألفًا، فعمَد أسامة بنُ زيد إلى نخلة فقطعها من أجل جُمَارها، فقيل له في ذلك، فقال: إن أمِّي اشتهته عليَّ، وليس شيء من الدنيا تطلبه أمِّي أقدر عليه إلا فعلته».

وكان أبو هريرة رضي الله-تعالى- عنه إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه فقال: «السلام عليك يا أماه، ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلامُ ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرًا».

وقال سعيد بن سفيان الثوري: «ما جفوتُ أبي قط، وإنه ليدعوني وأنا في الصلاة غير المكتوبة فأقطعها له».

وعن عمر بن ذر: «أنه لمَّا مات ابنُه قيل له: كيف كان برُّه؟ قال: ما مشى معي نهارًا قط إلا كان خلفي، ولا ليلاً إلا كان أمامي، ولا رقَى على سطح أكون تحته».

إذا كانت تلكم أمثلة سطَرها سلفُنا الصالحُ في برهم بوالديهم، فثمة خُلوف في أعقاب الزمن قد سطروا أسوأ الأمثلة وأقبحها في عقوق الوالدين، من خلال هجرانهما أو التأفف منهما، أو تقديم الأصحاب والزوجات عليهما، ناهيكم عن إهمالهما واعتبارهما عبئًا ثقيلاً عاقبتُه الزجُّ بهما في المصحات ودُور الرعاية، وربما عجَّت المحاكم والشرط بصور مفجعة من عقوقهما، عافانا الله وإياكم من ذلك؛ أمَا يعلم العاقّ أنه بعقوقه هذا يعد مُصرًا على كبيرة من كبائر الذنوب؟ التي قال النبي-صلى الله عليه وسلم- عنها: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟-قالها ثلاثا- قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوقَ الوالدين، وجلس وكان متكئًا، فقال: ألا وقولَ الزور»(رواه البخاري ومسلم).

ألَا فليتأمَل العاقُّ مليًا أن الجزاء من جنس العمل، وأنه كما يدين المرء يدان، وأن جزاء السيئة سيئة مثلها، وأن البرَّ-في أكثر الأحيان- يلحق، والعقوق كذلكم. وليتأمّل بكامل فكره فيما ذكره بعض أهل العلم في كتب البر والصلة، عن واقعة حصلت لبعض الناس يقول فيها: «كنتُ أطوف بالأحياء، حتى انتهيتُ إلى شيخ في عُنُقه حبل يستقي بدلو في الهاجرة والحرُّ شديدٌ، وخلفه شابٌ في يده حبل من جلد مدبوغ ملويّ، يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلتُ: أما تتّقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنّه مع هذا أبي. قلتُ: فلا جزاك الله خيرا. قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجدّه. فقلتُ: هذا أعقّ الناس».

ألا ما ألأمَ مَنْ عامل والديه بسوء وما أحقره، كيف يهنأ وهما عليه غاضبان، وكيف يفرح وهما منه حزينان، وكيف يشبَع وهما بسببه جائعان، كيف يُقدِّم أهله وولدَه عليهما في الإحسان، كيف يفعل بهما ذلك، وهما مَنْ غسَلا بأيديهما عنه الأذى، وآثراه على نفسيهما بالشراب والغذاء، وصيَّرا حجرهما له مهدًا، وإنْ أصابه عارضٌ أو شكاية أظهَرا من الأسف ما يهد قواهما، ولو خُيِّرا بين حياته وموتهما لآثَرا حياته على حياتهما.

إن الأم ستظل أمًّا والأب سيظل أبًا مهما ارتفع ضجيج أولادهما، ومهما اتسع شقاقهم، واستفحل عقوقهم، فحقوق الوالدين لا تسقط بالتقادم، وعقوقهما لا يغسله ماء البحر، ولا كفارةَ للعقوق بعد التوبة، إلا البر، والبر، والبر لا غير.

فيا أيها العاقون: البدارَ البدار، بالتوبة الخالصة، والبر الصادق، قبل فوات الأوان برحيلهما من هذه الدنيا، فإنهما لن يريا دموعكم التي ستذرفونها بعد أن يغادروها، ولن يشعُرا بقُبلاتكم لجثمانهما ولا بضمكم لهما، ولا بتنهيداتكم لرحيلهما، فلا قيمة لشيء من ذلكم البتة، ما داما لم يرياها منكم وهما على قيد الحياة، فتالله وبالله لقد

رَغمَتْ أنوفُكم، ثم رغمت أنوفكم، ثم رغمت أنوفكم أن تدركوا أبويكم أحدهما أو كليهما فلم يدخلاكم جنة ربكم، كما صحّ بذلكم الخبرُ عن الصادق المصدوق، صلوات الله وسلامه عليه.

ألا أيها العاق: ها قد عرفت فالزم، فقد أحسن من انتهى إلى ما سمع، وخذ العبرة من قصة الرجل الذي قال لعبد الله بن عباس: «إني قتلتُ نفسًا فهل لي من توبة؟ فقال له: أمُّك حيَّة؟ قال: لا، فقال له: أكثر من الاستغفار، ولمّا انصرف الرجل قال عطاء بن يسار لابن عباس: يا ابن عم رسول الله، رأيتك سألته عن أمه؟ فقال ابن عباس: لا أعلم عملاً أحبَّ إلى الله من بر الوالدة» (رواه البخاري).

عباد الله: اعلموا أن للثمر بذرًا، وللبذر سقاية، فكذلكم البرُّ، له بذرٌ وله سقايةٌ، فحريٌّ بالوالدين أن يُحسنا تربية الأبناء وينشئانهم نشأ صالحًا، وإنما يكون الجذاذ يومَ الحصاد، فعند الجذاذ يتبيَّن حلوُ الثمار من مُرِّها، ومَنْ أحسنَ غراسه حسُنَ قطافُه: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ) (الأعراف: ٥٨).

ثم اعلم أيها الأب، واعلمي أيتُها الأمُّ: أن بر الوالدين نتيجة لمقدمة سابقة من التربية الصالحة، والعاطفة الحميدة، والبذل الحسن، فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم؛ ليكونوا لكم في البر سواء.

دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان، ويزيد ابنه بين يديه، فقال معاوية سائلاً الأحنف: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟، فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين، هم عمادُ ظهورنا، وثمرُ قلوبنا، وقرَّة عيوننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منّا لمَنْ بعدنا، فكن لهم أرضًا ذليلةً، وسماءً ظليلةً، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدكَ فيملُّوا قربَك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتَك، فقال معاوية: لله درُّكَ يا أبا بحر، هم كما وصفتَ».

ثم احذروا -أيها الأولاد- أشدَّ الحذر من أن يدعو عليكما الأب أو الأم، فإنه لا يدعو أحدٌ منهما على ولده إلا لعقوق عظيم ناله منه، بعد أن حمله صغيرًا، وأطعمه جائعًا، وكفكف دمعه باكيًا، فلمّا شبَّ عن الطوق ورأى أنه قد استغنى بعقله وقواه سلّ سيف عقوقه من غمده، وانتزع سهم نكرانه إلى قوسه، فلمثل ذلكم تخرُج الدعواتُ الصادقاتُ منهما، فويلٌ لمَنْ دعا عليه أبواه، ويلٌ له، ثم ويلٌ له، فإن الدعوات لا ينطقها إلا لسانُ أمٍّ، أو أبٍ سحَقهما الإحساسُ بعقوقِ ولدهما سَحقًا، وشَرِقا بمرارة جحوده شرقًا، ولا تسألوا حينئذ عن نفس منكسرة، ومرارة تذكي تلكم الدعوات، ولا عجبَ؛ فهي دعوةُ مكلوم قمنٌ أن يُستجابَ لها، كما نقل بعضُ أهل العلمَ عن أحد السالفين يدعو على ولده العاق قائلاً:

تغمَّد حقِّي ظالمًا ولوى يدي ،
لوى يدَه اللهُ الذي هو غالبُهْ
وإنِّي لداعٍ دعْوةً لو دعوتُها
على جبلِ الريَّانِ لانقضَّ جانبُهْ
أيظلمُني مالي ويحنَثُ ألوَتي
فسوفَ يُلاقي ربَّه فيحَاسبُهْ

فابتلى الله هذا الابن العاق بابن أعق منه، نسأل الله لنا ولكم العافية.

فاتقوا الله -أيها الأولاد- وإياكم واحتقارَ كلمة «أفٍّ»، فهي وإن كانت من أقل الكلمات حروفًا، وأهونها نطقًا، إلّا أنها من أبينها جرمًا وأوجزها عقوقًا، واعلموا كذلكم أنه مَن اتقى والداه ردودَ أفعاله فهو عاقٌّ دون ريب، وأنه كما قال عروة بن الزبير: «ما برَّ والديهِ مَنْ أحَدَّ النظرَ إليهما».

ثم لتتقي الله أيتها الزوجة، وأنت أيها الزوجُ، وليكن كل واحد منكما عونًا للآخر على بر والديه، فبئسَتْ زوجاتُ الأبناء، وبئس أزواجُ البنات، إذا كانوا عقبة كنودًا دون بر الوالدين وصلتهم: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (البقرة: ٢٠١).

# مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قوله تعالى: (أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) الأنفال:٩.

القراءات: (مردفين) قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب بفتح الدال والباقون بكسرها.

المعنى: (مردَفين) اسم مفعول، أي مردَفين بغيرهم، فقد أردفهم الله يوم بدر بألف من الملائكة، و(مردفين) اسم فاعل، أي مردفين مثلهم، والمعنى: بألف من الملائكة مردفين لكم يأتون لنصركم بعد استغاثتكم ربكم.

قوله تعالى: ( ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ) الأنفال: ١٨.

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو (مُوَهِّنٌ كيْدَ)، وقرأ ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (مُوهِنٌ كيْدَ) وقرأ حفص (مُوهِنُ كَيْدِ).

المعنى: قراءة التشديد يدل على تكرير الفعل فقد أوقع الله الوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة وحالاً بعد حال، وقراءة الإضافة مع التنوين تدل على الحال والاستقبال، وبغير التنوين تدل على الماضي والاستقبال (حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣١).

قوله تعالى: (وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ) الأنفال: ١٩.

القراءات: (وأن) قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص بفتح همزة (وأنَّ)، والباقون بكسرها.

المعنى: القراءة بالكسر (وإنَّ) على الابتداء والاستئناف، وفيه معنى التوكيد لنصرة الله للمؤمنين، وقراءة الفتح تربط الكلام بما قبله، والتقدير: ولأن الله مع المؤمنين لن تغني عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت، أي من كان الله في نصره لن تغلبه فئة وإن كثرت (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ٧٠).

وهذا التوجيه ينطبق أيضًا على اختلاف القراء في قوله تعالى: (إنهم لا يعجزون) فقد قرأها ابن عامر بفتح الهمزة، والباقون بكسرها.

قوله تعالى: (مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ) الأنفال: ٧٢.

القراءات: قرأ حمزة بكسر الواو، والباقون بفتحها.

المعنى: الولاية بالفتح من النصرة والنسب والدين، وبالكسر من الإمارة، وقيل هما لغتان (لطائف الإشارات للقسطلاني ٤/ ٤٢١).

### ومن سورة التوبة

قوله تعالى: (إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ) التوبة: ١٢.

القراءات: قرأ ابن عامر بكسر الهمزة وبعدها ياء ساكنة مدية (لا إيمان)، والباقون بفتح الهمزة وبعدها ياء ساكنة غير مدية (لا أَيمان).

المعنى: على قراءة ابن عامر مصدر آمنته إيمانًا الذي هو ضد التخويف، والمعنى أنهم لا يُؤَمَّنون في أنفسهم أي: لا يُعْطَوْن أمانًا بعد نكثهم وطعنهم، أو لا يوفون لأحد بعهد يعقدونه له، ويبعد أن يكون الإيمان هنا بمعنى الإسلام؛ لأنه نفاه عنهم في قوله (فقاتلوا أئمة الكفر)، وعلى قراءة الجمهور (لا أيمان) جمع يمين، ودل على ذلك قوله قبل ذلك (إلا الذين عاهدتهم)، والمعاهدة تكون بالأيمان، ومعنى نفي الأيمان عنهم أنهم لا يوفون بها وإن صدرت منهم وثبتت وبذلك قال الشافعي، وحمله أبو حنيفة على حقيقته أن يمين الكافر لا تكون يمينًا شرعية (الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٦/٢٤-٢٥).

قوله تعالى: ( مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ) التوبة:١٧.

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالإفراد (مسجد الله)، والمراد به المسجد الحرام، أو يراد به الجنس والمسجد الحرام صدره ومقدمته، وقرأ الباقون على الجمع (مساجد الله) فيُراد به عموم المساجد والمسجد الحرام أولها، أو يُراد به المسجد الحرام خاصة على اعتبار أن كل مكان منه مسجد أو أنه قبلة المساجد وإمامهما (تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٥/٢٤).

قوله تعالى: (يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا) التوبة: ٣٧.

القراءات: (يضل): قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء وفتح الضاد (يُضَل)، وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد (يُضِل)، والباقون بفتح الياء وكسر الضاد (يَضِل).

المعنى: الكفار ضالون في أنفسهم، ويُضلون أتباعهم بالنسيء الذي يحلون به ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله ( طلائع البشر لمحمد الصادق قمحاوي ص ٨٠).

قوله تعالى: وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ) (التوبة: ٤٠).

القراءات: (وكلمة الله) قرأ يعقوب بنصب التاء، والباقون برفعها.

المعنى: قراءة الرفع تفيد استقرار وثبوت العلاء لكلمة الله، وأنه انحصر في دين الله وضمير الفصل (هي) يفيد القصر، وقراءة يعقوب تفيد أن كلمة الله عليا بجعله وتقديره، ولا يصح أن يُفهم منها أن كلمة الله صارت عليا بعد أن لم تكن، لأنها لم تزل عالية، وفعل (جعل) لا ينحصر في معنى التصيير، بل يرد كذلك بمعنى: "حكم وقرّر" أو يكون على بابه ويكون معنى "كلمة الله" شريعته وأحكامه التي فرضها (التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٥/٢٠٥، شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية لمحمود توفيق).

قوله تعالى (ورحمة للذين آمنوا منكم) التوبة: ٦١.

القراءات: (ورحمة): قرأ حمزة بخفض التاء (ورحمةٍ)، عطف على (خير) أي هو أذن خيرٍ وأذن رحمةٍ، وقرأ الباقون بالرفع (ورحمة) والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم مستمع خير وهو رحمة، كما قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء:١٠٧). (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٨٢).

قوله تعالى: (وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ) التوبة: ٩٠.

القراءات: قرأ يعقوب بإسكان العين وتخفيف الذال (المُعْذِرُون) من أعذر يعذِر، والباقون بفتح العين وتشديد الذال (المُعَذِّرون)، ويوحي بمعنى التكلف وأنهم يوهمون أن لهم عذرًا، ولا عذر لهم (طلائع البشر لقمحاوي ص ٨١).

قوله تعالى: (عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ) التوبة: ٩٨.

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين وقرأ الباقون بفتحها.

المعنى: (السُّوء) بالضم الاسم وهو الشر والعذاب، و(السَّوْء) بالفتح المصدر ومعناه: الفساد والهلاك، وقيل هما لغتان (حجة القراءات لابن زنجلة ص١٣٩).

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

# السعادة المنشودة

إعداد

**د. ياسر لمعي عبد المنعم**

أستاذ الدعوة والثقافة
الإسلامية المساعد جامعة
غينيا العالمية

**إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.**

**السَّعادة: الكل يبحث عنها، السَّعادة أعز مطلوب، وأغلى مفقود، وأجمل منشود. السَّعادة ثمنها غالٍ، السَّعادة لها معنى لا يرى بالعين، ولا يقاس بالكم، ولا تحويه الخزائن.**

**إنها صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير. نجتهد في حياتنا للوصول إليها ولكننا مختلفون بالطريق وبالأسباب الموصلة والمؤدية إلى السَّعادة.**

**البحث عن السَّعادة هو ما حرك الإنسان منذ المراحل الأولى من وجوده، وجعله يبتكر الأدوات ويكد في تطويرها، ويكتشف المهارات ويكد في تنميتها، وينتج المعارف والألفاظ، ويجتهد في تدقيقها؛ باحثًا عن السَّعادة.**

### فهل استطاع الإنسان فعلاً تحقيق مبتغاه؟ هل نحن حقًا ننعم بالسَّعادة؟

لا يمكن الإجابة عن ذلك إلا إذا أجبنا عن تساؤلات أخرى واجبة التنفيذ والتوضيح وهي: ما الذي يدل عليه بالضبط لفظ السَّعادة؟ هل يحمل هذا اللفظ دلالة واحدة بالنسبة للجميع.. أم أن له دلالات كثيرة متباينة ومختلفة؟

وهل تحقيق السَّعادة والتمتع بها يمر بالضرورة عبر اللذات الحسية واشباع متطلبات الجسد.. أم أنه يمر عبر طريق آخر هو اللذات العقلية واشباع متطلبات الروح؟

وهل يتعارض البحث عن السَّعادة مع العمل وفق الواجب والقيم الأخلاقية أم أنه يتوافق معه ويقتضيه؟

ما السَّعادة؟ وما السبيل إليها؟

### السّعادة:

السّعادة في اللغة: مشتقة من فعل «سعد»؛ أي فرح واستبشر، والسّعادة هي اليُمن، وهي نقيض النحس والشقاوة، السّعد: هو الرائحة الطيبة.

ومن معانيها: سعد المرء يسعد سعدًا وسَعادة: نال الخير فهو سعيد.

والسّعادة في المعجم الوسيط: «معاونة الله للإنسان على نيل الخير وتُضاد الشقاوة». السّعادة جنة الأحلام ومنتهى الآمال، كل البشر ينشدها، وقليل مَن يدركها، ومع اختلاف العباد ومعايشهم، وتباين وسائلهم وغاياتهم وتنوع لغاتهم وأجناسهم.

ومع افتراق مشاربهم وطموحاتهم، إلا أنهم متفقون على طلب السّعادة؛ لتوجعهم من مكابدة الحياة وآلامها، لطمعهم في حياة سعيدة هنيئة لا أحزان فيها ولا هموم.

ونوال السّعادة منحة من الرحمن يهبها لمن يشاء من عباده، فمنهم من ينعم في جناها، ومنهم من يحرمها ويعيش في أمانيها، والموفق من هُدي إليها فسلكها وخطا إليها وعمل لها، وجانب ما يضادها مما يجلب له الشقاء.

السّعادة الإيمانية متنامية لا متناقصة، تعقبها راحة نفسية، وتوازن فكري، واستقرار عاطفي، وثقة بالنفس، وتفاؤل تجاه الأزمات، ويقين في الله عند الكرب، ونفس متألقة مبدعة؛ لأنها اتصلت بالله.

ولقد سجّل الله -عز وجل- أن الأمن النفسي المنشود الذي يطلبه الأفراد أصحاب الأنفس الطيبة التوابة الأوابة التي تسمو بصاحبها، وتطلع إلى السماء، وتنظر فيها طالبة للسعادة تنظر نظرة في النجوم، وتتطلع لانشراح الصدر قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (الأنعام: ٨٢).

كما أن السّعادة والأمن النفسي مفقودان عند أهل الشرك والظلم والمعاصي، فالسّعادة الحقيقية في القلوب، ولا يملأ القلوب ويجمع شعثها إلا محبة الله- عز وجل- والإيمان به، ولهذا قال سبحانه: «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ» (طه: ١٢٣). فالهداية سعادة في القلب في الدنيا، ورضًا في الآخرة.

ولا سَعادة ولا راحة ولا طمأنينة كراحة وطمأنينة التوحيد والقصد، وحسن الظن، وجميل التوكل عليه، والشعور بطمأنينة القلب بقول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالله بن مسعود: (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك) وكأن الطمأنينة والسّكينة والسّعادة تصب في قلب العبد صبًا لما يردد (ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك).

ولذا بقدر تمام التوحيد والإيمان وكماله، بقدر ما يحصل الأمن والطمأنينة والسّعادة في قلب المؤمن في الدنيا والآخرة؛ إذ يشرح الله صدر صاحبه ويدخل السرور عليه، أما الشرك- والعياذ بالله- فيوجب الشقاء والضيق في صدر صاحبه كأنما يصّعد في السماء.

قال تعالى: «فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» (الأنعام: ١٢٥).

فلا يستويان مَن شرح الله صدره للإسلام؛ فهو على نور من ربه، ومن كان في ظلمات الشرك والبعد عن ذكر الله فقسا قلبه؛ فهو في ضلال مبين، قال تعالى: «أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (الزمر: ٢٢).

وليس من كان مَيتًا في ظلام الشرك فهداه الله بفضله ورحمته، كمن قبع في ظلمات الشرك ليس بخارج منها، قال تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام: ١٢٢).

الحياة السعيدة الطيبة التي يتنفس المسلم الصالح والمؤمن العابد فيها أنفاس السّعادة لكي يتنهد زفير الهم هي حياة المؤمنين والصالحين، قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا

مَن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً » (النحل: من الآيـة ٩٧)؛ أي فلنحيينه حياة سعيدة حياة الطيبة.

كما أن الالتزام بالعمل الصالح مع الإيمان يضمن للعبد السَّعادة، ويـدرأ عنه الحـزن والهم: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (المائدة: من الآية ٦٩).

«لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا » (سورة الفتح: ١٨).

فعلم ما في قلوبهم من إخلاص، من صدق، من تضحية؛ فجعل السَّكينة والسَّعادة في قلوبهم المؤمنة. وسمَّاها القرآن الكريم سَكينة، ونحن ينبغي أن نتمسك بهذا المصطلح؛ لذلك قالوا: لا سَعادة بلا سَكينة، ولا سَكينة بلا إيمان؛ أي لا سَعادة بلا إيمان.

إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السَّكينة والسَّعادة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

هذه السَّعادة لا تعز على طالب كائنًا من كان في أي زمان ومكان، وفي أي حال وجدها إبراهيمُ- عليه الصلاة والسلام- في النار: « قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ » (الأنبياء: ٦٩).

وجدها يوسفُ- عليه الصلاة والسلام- في الجُبِّ حين حفظه الله، وفي السجن حين قيل له: «إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » (يـوسـف: ٣٦)، ووجدها يونس- عليه الصلاة والسلام- في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، حين ربط الله على قلبه فقال: «أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » (الأنبياء: ٨٧).

ووجدها موسى- عليه الصلاة والسلام- في اليم، وهو طفلٌ مجرد من كل قوة وحراسة لما أسلمت أمه زمامها وأمرها لربها: «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » (القصص: ٧)، «لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » (القصص: ١٠).

وجدها أصحاب الكهف في الكهف، حينما افتقدوها في الدور والقصور: «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى » (الكهف: ١٣).

ووجدها نبينا- عليه الصلاة والسلام- وصاحبه في الغار، والأعداء يتعقبونهما، ويَقُصُّون الآثار «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » (التوبة: ٤٠).

ويجدها كل مؤمنٍ أوى إلى ربه يائسًا ممن سواه، قاصدًا بابه وحده من دون كل الأبـواب، ففي الحديث: (أنا جليس من ذكرني).

**الخلاصة:**

السَّكينة هي ينبوع السَّعادة الأول، ولكنها شيء لا يرتبط لا بالذكاء، ولا بالعلم، ولا بالصحة، ولا بالغنى، ولا بالمال، ولا بالشهرة، ولا بالجاه، ولا بغير ذلك من متع الحياة الدنيا، إن للسَّكينة والسَّعادة مصدرًا واحدًا لا ثاني له، هو الإيمان بالله واليوم الآخر.

« لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا » (سورة الفتح: ١٨).

هذا مقالي- مقتص من ورقات كنت أدندن بها لكتابي صناعة السعادة- منك أرجو أن تقرأ مبناه، وتستوعب معناه، ثم تستخلص بعد ذلك فحواه- كما أرجو أخيرًا- أن تتوج قراءتك لمقالي بالتواصل الهادف، والإضافة البناءة، ونشره وشرحه وبثه للجميع.

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

## عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الملازم أول/ محمد عبد الرحمن محمد إسماعيل رحمه الله شقيق فضيلة الدكتور/ جمال عبد الرحمن عضو اللجنة العلمية بالمجلة، وتتقدم أسرة تحرير المجلة واللجنة العلمية بخالص العزاء للأسرة الكريمة، سائلين الله تبارك وتعالى أن يغفر للمتوفى ويرحمه رحمة واسعة، وأن يتجاوز عن سيئاته، ويزيد في حسناته، ويرفع في درجاته. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

# الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

## www.magalet-eltawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا
قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513